
رجل المستحيل
وكر الإرهاب

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ الأسير ..

« لقد سقط (أدهم صبرى) ..

نطق (بانشو سيلازر) ، الإرهابى المكسيكى العالمىّ ، بتلك العبارة فى تشفٍّ ، وعيناه تتألقان ظفرًا وقوة ، وهو يتطلع إلى أسيرته (منى توفيق) ، التى انتفض جسدها فى هلع ، وحدّقت فى وجهه فى دهشة وجزع واستنكار ، قبل أن تهتف محتدّة :

ـ أنت كاذب .. ليس من السهل أن يسقط (أدهم) .

أجابها فى تشفٍّ :

ـ ولكنه سقط .

انكمشت فوق فراشها الصغير ، داخل تلك الحجرة التى سجنها فيها (بانشو) ، وقلبها يخفق بين ضلوعها فى لوعة ، وعقلها يرفض تصديق العبارة ، فى حين لوّح (بانشو) بكفه ، واستطرد مزهوًّا :

ـ لقد أعماه الغرور ، وخدعته ثقته الزائدة بنفسه ،

فهاجم معسكر (أنزيو) ، وبعد تبادل إطلاق نيران قصير ، حاول الفرار بوساطة درّاجة بخارية ، فارتطم بالسُّور المكهرب ، وفقد الوعى .

غمغمت فى ارتياع :

ـــ مستحيل !

كان ذعرها يزيد من زهو (بانشو) واستمتاعه ، وإحساسه بالنصر والظّفر ، ممّا جعل أوْداجه تنتفخ ، وهو يتابع فى إيقاع رنّان :

ـــ إنه مجرّد بشر ، وكل البشر يسقطون ، وأنا أنتظر وصول سنيور (ألفريدو) ، طيّارى الأمريكى الخاصّ ، لأنطلق بالهليوكوبتر إلى معسكر (أنزيو) ، وأفوز بشيطانك المصرىّ .

شعر بالسعادة ، وارتوت ساديته ، لمَرْأى تلك الدموع ، التى قاومت طويلاً فى مُقلتيها ، ثم انهارت على وجنتيها ، وعاد يلوّح بكفّه ، مستطردًا فى فخر :

ـــ المهم أن أجده حيًّا عندما أصل ، فلن يروق لى أن أمنحك جثة هامدة فحسب .. أليس كذلك ؟

أطلق ضحكة شيطانية عالية ، بعد هذه العبارة ، ثم غادر سجنها الصغير مندفعًا كعادته ، وأغلق بابه خلفه فى عنف ،

تاركًا إيّاها منكمشة فى فراشها ، زائغة العينين ، تردّد فى حالٍ أشبه بالانهيار :

ـــ مستحيل أن تأتى نهاية (أدهم) هكذا .. إنه سينجو منهم بإذن الله .. سينجو ..

ثم انخرطت فى بكاء حار ، وعقلها يسترجع القصة كلها .. ومنذ البداية ..

* * *

كانت البداية صفقة ..

صفقة بين (بانشو سيلازر) ، الذى سرق ـــ بمعاونة عالم أمريكى خائن ، فى هيئة الطاقة الذرية ـــ أسرار وتصميمات قنابل ذرّية جديدة ، أنتجها الأمريكيون ، وجعلوها محدودة المدى ، بحيث لا يتجاوز نطاق تفجيرها حدودًا معقولة ، ولا تنتشر بعدها الإشعاعات الذرّية ، إلّا لمدى صغير ، ولفترة ضئيلة للغاية ، وبين رجال (الموساد) ، الذين رأوْا أن ذلك السلاح هو أفضل ما يحصل عليه شعبهم ، ليضمن التفوّق الدائم على العرب ، أو حتى إبادتهم ، دون خوف من انتشار إشعاعات ذرّية تمتد إليهم أنفسهم ..

وطلب (بانشو) مليار دولار ثمنًا للصفقة ، وأمهل رجال (الموساد) أسبوعًا واحدًا ، لتدبير المبلغ ، وإنهاء الصفقة ..

ولكن المخابرات المصرية علمت بالأمر ، وأرسلت أقوى فريق لها ..

(أدهم) و (منى) ..

وفور وصول (أدهم) و (منى) إلى (مكسيكو) ، بمهمة محدودة ، ألا وهي التفاوض مع (بانشو) للحصول على الصفقة ، بدلًا من (الموساد) ، أو العمل على ألا يناها أحد ، كشف (بانشو) حقيقة (أدهم) ، بوساطة كمبيوتر خاص ، وملفات حصل عليها من (الموساد) ..

وبدأت المعركة مع اللحظات الأولى ..

ونسف (أدهم) متجرًا للسيارات المستعملة ، وانطلق عبْر صحراء (المكسيك) في أشرس حرب صحراوية ، بينه وبين جيش (بانشو سيلازر) ..

وواجه (أدهم) رجالًا بمدافعهم الآلية ..

ودبابات ..

وطائرة هليوكوبتر حربية ..

وصواريخ ..

وجيش من راكبي الدرّاجات البخارية ، يبلغ مائة رجل ..

وراح (أدهم) ينتقل من نصر إلى نصر ..

وتحطّم الرجال ، وانهارت الدبابات ، ونُسفت الدرّاجات البخارية ..

رجل واحد هزم جيشًا بكل كتائبه ..

ثم نجح (بانشو) في أسر (منى) ، وطالب (أدهم) بالاستسلام ، إلا أن هذا الأخير — مدركًا لثقل المسئولية على كاهليه — رفض الاستسلام رفضًا تامًّا ، وهدّد (بانشو) بالويل والثّبور ، وعظائم الأمور ، لو أنه مسّ شعرة واحدة من رأس (منى) ، فما كان من الإرهابي إلا أن عقد مع (أدهم) صفقة جديدة ..

صفقة موت ..

لقد راهنه على أن يمنحه ثلاثة أيام للوصول إلى وكره السّرّيّ ، وإنقاذ (منى) ، وإلا فإنه سيقتلها بلا رحمة ..

وكان على (أدهم) أن يقاتل للفوز بهذه الصفقة اللّعينة ..

من أجل (منى) ..

ومن أجل الوطن ..

وفي نفس الوقت ، كان هناك رجلان من (الموساد) ، (إفرايم) و (جوليات) ، يسعيان لإتمام الصفقة مع (بانشو) ، ويسعيان في الوقت ذاته للتخلّص من (أدهم) ، بعد أن علما أنه خلف الصفقة مثلهما ..

وبدأت حرب ضروس ..

كل يسعى لنيل الآخر ، والفوز بالصفقة فى نفس الوقت ..

وفى نفس الليلة ، التى حدث فيها كل هذا ، هاجم (أدهم) معسكر رجال (أنزيو) ، زعيم راكبى الدرّاجات البخارية ..

وكان ما ذكره (بانشو) ..

وسقط (رجل المستحيل)(*) .

* * *

كانت دوّامة عنيفة قاسية ، عميقة ، مُظلمة ، تلك التى سقط فيها جسد (أدهم) ، عندما ارتطم بالحاجز المكهرب ، ولقد راح يهوى فيها طويلًا ، قبل أن يغادرها بغتة ، فيتلاشى الظلام ، ويتوقف الدوران ، ويبدو صوت وكأنه قادم من أغوار سحيقة ، يقول :

ــ لقد استعدت وعيك بسرعة مدهشة .. إنك قوىّ البِنْية بحق .

راح عقل (أدهم) يستعيد صفاءه فى سرعة ، فميّز صاحب الصوت ، وأمكنه ــ على الرغم من الصداع الذى يشعر به ــ

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزأين الأوّل والثانى ، (صحراء الدم) ، (صفقة الموت) .. المغامرتين رقم (٧٨) و (٧٩) .

من أن يفتح عينيه ، ويتطلّع إلى وجهه ، ثم يبتسم فى سُخرية ، مغمغمًا :

ــ عجبًا !!.. إنه الجحيم بلا شك ، فهذه الوجوه القبيحة لا توجد إلّا هناك .

عقد (أنزيو) حاجبيه ، وقال فى توتُّر :

وتملك القدرة على المزاح أيضًا ، فى مثل موقفك .. هذا مثير للاهتمام حقًّا .

احتفظ (أدهم) بابتسامته الساخرة على شفتيه ، فى حين راح عقله يعمل على تقدير موقفه فى سرعة خرافية كالمعتاد ..

لقد كان مقيّد المعصمين إلى سقف ذلك الكوخ الخشبىّ الصغير ، ويتدلّى منه كذبيحة بلا إرادة ، وأمامه يقف (أنزيو) ، حاملًا مِدفعًا آليًّا فى تراخ ، وخلفه تمامًا باب الكوخ ، فى حين كان هناك ثلاثة آخرون ، يحملون المدافع الآلية ، ويصوّبونها إلى (أدهم) فى غضب واضح ، ومن خلف (أنزيو) ، وعَبْر باب الكوخ ، كانت البقية الباقية من الدرّاجات البخارية تبدو واضحة ، وحولها رجلان للحراسة ، فغمغم (أدهم) ساخرًا :

ــ لقد وعدت بقتل أيها الوغد ، فلِمَ لَمْ تفِ بوعدك بعد ؟

هزّ (أنزيو) كتفيه ، وقال :

ـ لا داعى للعجلة أيها المصرى .. إنك الآن بين أيدينا ، وسأقتلك عندما يحلو لى .

وانعقد حاجباه فى شراسة ، وهو يستطرد :

ـ وعندما تتوسّل لى أنت أن أفعل .

قال (أدهم) ساخرًا :

ـ أتعنى أنك لن تقتلنى أبدًا .. شكرًا لكرم الأوغاد هذا .

كتم (أنزيو) غيظه وحنقه ، وهو يقول :

ـ من قال إننى لن أفعل يا رجل ؟.. أراهنك أنك أنت ستتوسّل لى أن أقتلك ، بعد أنْ تعلم ما سأفعله بك .

قال (أدهم) متهكّمًا :

ـ أراهن أنك ستلقينى للثعابين .

هتف (أنزيو) :

ـ لن يبدو هذا عقابًا مثاليًا .

وبرقت عيناه فى وحشية ، وهو يلوّح بذراعيه ، مستطردًا فى حدّة :

ـ إننا نحتفظ هنا بثلاثة من ذئاب الصحراء الجائعة أيها المصرى ، وأنت لا تعلم كيف تختلف الذئاب المكسيكية عن غيرها من الذئاب .. إن ذئابنا تشبهنا يا رجل .. إنها قوية ..

شرسة ، حادّة الأنياب والمخالب ، وهى تلتهم فرائسها حيّة ، وبلا رحمة .

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

ـ يا له من مشهد هزلىّ !!

أحنقت سُخريته (أنزيو) ، فهتف فى توتُّر :

ـ إننا لن نلقيك إلى الذئاب فحسب ، فنحن نحترم ذئابنا ونحبها .. إننا سنشوى قدميك أولًا ، ونبتر يديك ، وبعدها نلقيك داخل قفص الذئاب ، و .....

قاطعه أحد رجاله ، وهو يندفع إلى المكان ، هاتفًا :

ـ سنيور .. هليوكوبتر سنيور (بانشو) تقترب .

برقت عينا (أنزيو) ، ثم هتف فى حِدّة :

ـ لا .. لن ينتزع (بانشو) فريستنا .

ثم التفت إلى أحد رجاله ، مستطردًا فى صرامة :

ـ سنلقيه للذئاب قبل أن تحط طائرة (بانشو) فى أرضنا .. هيًا يا رجل .. قُمْ بشىّ قدميه .

وعلى الفور ، أشعل الرجل مشعله ، واتجه فى حزم نحو (أدهم) ..

ولم يكن هناك أمل فى الفرار ..

ولم تكن هناك وسيلة ..

* * *

٢ ــ البقيّة الباقية ..

ظلّ (جوليات) يهمهم ببضع كلمات غامضة ، طيلة الطريق إلى (مكسيكو) ، ولم يكد يعبُر حدود العاصمة المكسيكية ، حتى بدا وكأن صدره لم يعُد يحتمل ما يجيش به ، فهتف في حَنق :

ــ ستفسد العملية كلها ، بسبب ذلك الوغد (بانشو) .

عقد (إفرايم) حاجبيه ، وهو يقول في توتُّر :

ــ لم يفسد أي شيء بعد يا رجل .. إن (أدهم صبري) يسعى للصفقة مثلنا ، وكلّ ما ينشده هذا الوغد (بانشو) ، هو الفخر والزهو بأنه الرجل الذي قضى على أخطر رجل مخابرات في العالم ، ولكن هذا لن يدفعه للتخلّي عن مليار دولار .

هتف (جوليات) في حَنق :

ــ ألم تسمعه يقول إن المصريين قد عرضوا عليه مليارين ؟

لوّح (إفرايم) بذراعه ، هاتفًا في حِدّة :

ــ هُراء .. أنت تعلم أن حكومتنا قد اضطرت لخفض

ميزانية دولتنا كلها ، لتمنح هذا الوغد مليارًا من الدولارات ؛ لأنها تعلم أننا نملك مفاعلا ذريًا في (ديمونة) ، يمكننا من صنع تلك القنابل الذرّية المحدودة ، ولكن المصريين يعانون عجزًا في موازنتهم المالية ، ولا يملكون مفاعلات ذرّية حتى الآن ، فكيف يمكنهم شراء الصفقة .

غمغم (جوليات) ، ولم تزايله نوبة الحنق بعد :

ــ لو أنني في موضعهم ، لأقدمت على الفوز بالصفقة ، مهما كانت التضحيات ، حتى نُحرم نحن منها على الأقل .

هتف (إفرايم) :

ــ لن تكون هناك فائدة من ذلك ، فحتى لو منحهم (بانشو) التصميمات ، مقابل مليارين من الدولارات ، فكيف يضمنون أنه لن يبيعنا نسخة أخرى منها ، مقابل مليار آخر ؟

ثم التفت إلى زميله ، مستطردًا في حزم :

ــ ثِق بي يا رجل .. المصريون لا يستهدفون من المساومة سوى الخداع فحسب ، أمّا غرضهم الحقيقي ، فهو تدمير التصميمات تمامًا ، وهذا الغبيّ (بانشو) يجهل ذلك .

غمغم (جوليات) في حَنق ، وهو يوقف السيارة أمام ذلك الفندق ، الذي يقيمان فيه في (مكسيكو) :

— غباؤه هذا قد يتسبّب فى أن يصل إليه (أدهم صبرى) ، وينتزع منه الصفقة كلها ، ونخسر نحن كل شىء .

عقد (إفرايم) حاجبيه ، وهو يقول :

— لو أنك تقصد دولتنا ، بعبارة « نخسر نحن كل شىء » ، فأنت على حق ، فى حالة ما إذا نجح ذلك الشيطان المصرى ، فيما فشلت فيه مخابراتنا كلها ، وأفلح فى التوصُّل إلى مخبأ (بانشو) ، والفوز بالصفقة ، أما لو أنك تقصدنى أنا وأنت بالعبارة ، فأنت مخطئ ، فحتى لو خسرت دولتنا كل شىء ، فسنفوز نحن بالمال على الأقل .

غمغم (جوليات) فى توتر ، وهو يغادر السيارة :

— هذا لو سارت خطتنا على ما يرام .

ابتسم (إفرايم) ، وقال وهو يغادر السيارة بدوره :

— ستسير كما خططنا لها يا رجل .. اطمئن .

توقف (جوليات) ، وهو يقول فى حنق :

— اطمئن ؟!.. كيف تطالبنى بالاطمئنان ، ونحن نجلس هنا ، لا نملك ما نفعله ، على الرغم من أننا نحمل أوامر صريحة بضرورة البحث عن (أدهم صبرى) ، وتصفيته ؟

حافظ (إفرايم) على ابتسامته الهادئة الواثقة ، وهو يقول :

— هذا هو الذكاء وحسن تقدير الأمور يا رجل .. صحيح أننا لا نملك ما نفعله ، ولكن (بانشو) وجيشه كله يعملون من أجلنا ، فهم يطاردون ذلك الشيطان المصرى ، ويبذلون أقصى جهدهم لاصطياده ، وهم إمّا أن ينجحوا ، فيوفرون لنا كل الجهد ، وإمّا أن يفشلوا ، بعد أن ينهكوا قُوَاه ، فنجده نحن لقمة سائغة .. اطمئنّ يا رجل .. لن يفلت (أدهم صبرى) من الفخّ هذه المرّة .. أبدًا ..

* * *

يقول رجال المخابرات المصرية ، ممن يعرفون (أدهم صبرى) ، إن أكثر ما يميّزه هو أنه يملك قلبًا لا يعرف الخوف ، وعقلًا يعمل بسرعة صاروخ ، وأطرافًا تستجيب للأفكار ، قبل أن يعلم بها المخ نفسه ..

وربما كانوا يبالغون قليلًا ..

أو يتواضعون ..

فلنترك الحكم على هذا لـ (أنزيو) ورجاله ، فلم يكد ذلك الرجل منهم يتقدّم نحو (أدهم) ، حاملًا مشعله ، حتى ارتفعت قدما (أدهم) فى سرعة البرق ، وأحاطتا بعنق (أنزيو) ، الذى شهق من فَرْطِ المفاجأة ، ولكنه لم يملك أن يفعل غير ذلك ؛



ثم طوّح به دون أن يتركه ، فضرب به أحد الرجال الثلاثة المسلحين ..

إذ انتزعته قدما (أدهم) من الأرض انتزاعًا ، وحوّلته إلى مقلاع ..

وتشبث (أدهم) بالحبل الذى يربطه إلى السقف ، وأمسكه بقبضته فى قوّة ، وانتزع (أنزيو) من مكانه ، ثم طوّح به دون أن يتركه ، فضرب به أحد الرجال الثلاثة المسلحين ، ثم دار به مرّة ثانية ، وضرب به آخر ..

ولم يحتمل الحبل ثقل الرجلين معًا ، أو بمعنى أدق ، لم يحتملهما ذلك القائم الخشبىّ فى سقف الكوخ ، الذى تعلّق به الحبل ، فانكسر ، وسقط ..

وهبط (أدهم) أرضًا ، وترك جسد (أنزيو) يرتطم بالأرض فى عنف ، وحرّر هو قدميه منه ، ثم دار على عقبيْه فى سرعة مُذهلة ، وركل المدفع الآلىّ ، الذى يصوّبه له رجل (أنزيو) الثالث ، ثم قفز يلتقطه فى الهواء ، بمعصميه اللذين ما زال الحبل يحيط بهما ، و .....

وأطلق النار ..

وأثارت الرصاصات جُنون رجال (أنزيو) ، فاندفع حارسا الدرّاجات البخارية ، يحاولان اقتحام الكوخ ، إلا أن رصاصات (أدهم) أردتهما قتيلين ، قبل أن تقفز قدمه إلى فك

(أنزيو) فى ركلة قويّة ، ألقت الرجل فى عالم اللاوعى حتى النخاع ..

وبسرعة رائعة ، راح (أدهم) يحل قيده ، وهو يقول فى سُخرية :

— نصيحة أيها الوغد .. عندما تعود إلى وعيك ، لا تطمئن أبدًا إلى هزيمة خصمك ، إلا بعد أن تقتله .

ألقى القيود جانبًا فى قوّة ، وحمل المدفع الآلىّ مرّة أخرى ، يصدّ به هجوم رجال (أنزيو) ، الذين أصابهم الجُنون هذه المرّة ، فراحوا يمطرون الكوخ بالرصاصات بلا تمييز ..

وفى براعة ، التقط (أدهم) قنبلة يدويّة من حزام أحد رجال (أنزيو) الذين أفقدهم الوعى ، وألقاها نحو المهاجمين ، ثم التقط قنبلتين أخريين ، وهو يهتف :

— معذرة أيها الأوغاد .. لست مستعدًا لقضاء سهرتى بينكم الليلة .

وانطلق خارج الكوخ ، وهو يطلق رصاصات المدفع الآلىّ فى غزارة ، وعلى نحو بثّ الرُعب فى قلوب الرجال ، فراحوا يتراجعون أمامه فى هلع ، ويحاولون إصابته بنيرانهم ، كما يصيب هو أهدافه بنيرانه فى تفوّق ، حتى رأوه يقفز ممتطيًا درّاجة بخارية ، فهتف أحدهم :

— احترسوا يا رجال .. إنه سيفلت منكم .

بلغ هذا الهتاف مسامع (بانشو) ، وهو يتابع ما يحدث من الهليوكوبتر ، التى راحت تحلّق فوق المعسكر المشتعل ، دون أن يجرؤ قائدها (ألفريدو) على الهبوط وسط المعمعة ، فهتف (بانشو) فى حَنَق :

— أطلق عليه النار يا (ألفريدو) .. اقتله قبل أن يفرّ .

هتف (ألفريدو) من بين أسنانه فى توتّر :

— اللعنة يا رجل .. إننا نركب هليوكوبتر عادية ، وليس مقاتلة نفاثة .

عضّ (بانشو) شفتيه فى قهر ، وهو يراقب الموقف ، حيث انطلق (أدهم) بالدرّاجة البخارية نحو السُور المكهرب ، ورصاصات البقية الباقية من رجال (بانشو) تنهال عليه كالمطر ، قبل أن يلقى هو قنبلتيه نحو هدفين اختارهما فى دقة يُحسد عليها ..

ألقى قنبلة على المولد الكهربائى ، وأخرى نحو السُور ..

وفى لحظة واحدة ، انفجرت القنبلتان ، وانفجر المولّد الكهربائى ، وانفتحت ثغرة فى السُور ..

وانطلقت درّاجة (أدهم) عَبْر الثغرة ، وسط ظلام هبط

على المكان بغتة ، وانطلقت ضحكته الساخرة الظافرة تشق الظلام ، فصرخ (بانشو) :

ـــ الحق به يا (ألفريدو) .. لا تتركه يفلت يا رجل .

غمغم (ألفريدو) فى توتر بالغ :

ـــ مُحال يا سنيور (بانشو) .. إنه سيقتلنا لو فعلنا .. لن أفعل .. لن أفعل .

ومرّة أخرى ، عضّ (بانشو) شفتيه قهرًا ، وراح يراقب درّاجة (أدهم) وهى تبتعد ، حتى ابتلعها الظلام ..

* * *

« اللعنة !!.. » ..

هتف (أنزيو) بالكلمة فى سُخط ومرارة ، وهو يدير عينيه فيما أصاب معسكره ، الذى فخر به طيلة عمره ، وصوت (بانشو) يرتفع هاتفًا :

ـــ لقد فشلت يا (أنزيو) .. فشلت مع رجالك المائة فى اقتناص رجل واحد .. يا للعار !.. أية هزيمة هذه ؟.. بل أية كارثة ؟

التفت إليه (أنزيو) ، وهتف فى ثورة :

ـــ كفّى يا سنيور (بانشو) .. كفّى .. إنك تتحدّث كما

لو أننا قد تقاعسنا أو قصّرنا فى محاربة ذلك الشيطان ، ولكننا كما ترى بذلنا أقصى جهدنا ، ولكنه ليس رجلًا عاديًا .

هتف (بانشو) فى غضب :

ـــ لست أحب سماع هذه العبارة .. إن هذا الرجل مجرّد رجل عادى ، ولكنه محظوظ فحسب ، هذا كل شىء .

صاح (أنزيو) فى استنكار :

ـــ محظوظ فحسب .. أى هُراء هذا يا سنيور (بانشو) ؟.. أتخدع نفسك أم تحاول خداعنا ؟.. هذا الرجل ليس عاديًا بالقطع ، سواء أراق لك سماع ذلك أم لا .. انظر إلى ما حولك يا رجل ، وقل لى ماذا ترى ؟.. مجرّد ألواح خشبية ، يلفها الظلام .. أتعلم ما الذى كان عليه هذا المكان فى الصباح فقط ؟.. كان معسكرًا مخيفًا ، يضم مائة من أشد الرجال ، يكفى ذكر أسمائهم لبث الرُعب فى القلوب ، وكنت أنا أقودهم جميعًا ، فلا تجرؤ حتى العواصف على اعتراضنا ، حتى أن رجال الشرطة والجيش ، ورجال حرس الحدود ، كانوا يتحاشَوْن مجرّد الاحتكاك بنا ، أمّا الآن ، وفى الساعات الأولى من صباح اليوم التالى ، فلقد ذهب كل هذا .. أتعلم كم تبقّى من رجال يا سنيور (بانشو) ؟.. ثلاثة عشر رجلًا فحسب ..

هل تفهم ؟.. هذا يعنى أن ذلك الشيطان وحده ، ودون أن يملك سوى أسلحتنا نحن ، قد قضى فى بضع ساعات على سبعة وثمانين من أشداء رجالنا .. هل تدرك ما الذى يعنيه ذلك ؟

عقد (بانشو) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

— إنك أنت ورجالك أغبياء .

احتقن وجه (أنزيو) فى غضب ، وهمَّ بأن يهتف ساخطًا ، لولا أن استدرك (بانشو) فى صرامة :

— ولكننا لم نخسر كل شىء بعد .

ولوَّح بذراعه مستطردًا :

— مازلنا نفرض سيطرتنا على الصحراء ، ومازال مخبئى مجهولًا ، ومازلت أحتفظ لدىَّ بزميلة هذا الشيطان .

عقد (أنزيو) حاجبيه فى شدَّة ، وهو يقول :

— وبِمَ يفيدنا كل هذا ؟

أجابه وهو يسبح بعينيه بعيدًا :

— إن ذلك الشيطان يرغب فى بلوغ مخبئى بأى ثمن ، قبل مُضىّ ثلاثة أيام ، وسيبذل فى سبيل ذلك أقصى ما يمكنه من جهد ، ولكنه لن يجد أمامه سوى طريقين ، لا ثالث لهما ، فإما أن يجوب الصحراء بلا هُدَى ، أو يعود إلى المدينة ، بحثًا عمَّن يرشده إلى موضعى .

غمغم (أنزيو) فى عصبيَّة :

— أو ينطلق إلى (أمريكا) ، وينتزع عميلك السِّرِّىّ ، فى هيئة الطاقة الذرِّيَّة هناك ، من عنقه ، وينتزع منه سِرَّ الصفقة ، دون أن يدفع قرشًا واحدًا .

عقد (بانشو) حاجبيه فى تفكير ، ثم غمغم فى حزم :

— لست أظن ذلك الاحتمال ممكنًا ، فى الوقت الحالى ، فهو يجهل — مثل الجميع — اسم عميلى السِّرِّىّ هناك ، والوقت لا يكفيه للبحث .. لا .. أظنه سيتجه إلى المدينة .

وأطلَّ شرّ الدنيا كلها من عينيه ، وهو يستطرد فى صرامة :

— وسنكون فى انتظاره هناك ..

* * *



٣ — المقتحم ..

تململ السفير المصرى فى المكسيك ، وهو يرقد فى فراشه وحيدًا ، بعد أن طارت زوجته مع ولديه فى الصباح إلى (القاهرة) ، لعيادة والدها المريض ، وتركوه وحده ، وقد أعجزته مسئولياته عن الانضمام إليهم ..

وعلى الرغم من أن عقارب الساعة كانت قد تجاوزت الثانية صباحًا ، إلا أن السفير لم يشعر بعد بالرغبة فى النوم ، مما جعله ينهض من الفراش ، وهو يغمغم فى ضيق :

— يا إلهى !!.. كم تبدو الليالى طويلة باردة ، عندما يكون المرء بدون أسرته .

تثاءب فى ملل ، ثم أشعل الثريا الصغيرة ، المجاورة للفراش ، والتقط علبة سجائره ، وتناول منها سيجارة ، دسها بين شفتيه ، والتقط قداحته ليشعلها ، لولا أن سمع صوتًا هادئًا ، يقول :

— ليس من التعقل أن يجرع المرء هذا السم باختياره ياسيدى .

انتفض السفير فى قوة ، وترك قداحته تسقط على الفراش ، ويده تقفز لتلتقط مسدسه من أسفل وسادته ، ثم تدير فوهته نحو مصدر الصوت ، و .....

وتفجر الذهول فى نفس الوزير ..

كان يصوب مسدسه إلى رجل يقف هادئًا ، عند نافذة الحجرة ، ويبدو — على الرغم من هيئته الرثة ، وسيمًا مليحًا ، وإن نمت شعيرات ذقنه ، وتبعثرت خصلات شعره على جبينه ، وتمزق قميصه على نحو يوحى بأنه خرج لتوه من انفجار عنيف ، وتغطت إحدى ذراعيه بدماء جافة ، فى حين أمسكت اليد الأخرى بمدفع آلى فى تراخ ، دون أن تصوبه إلى السفير ، الذى هتف فى توتر :

— من أنت ؟.. وكيف وصلت إلى هنا ؟

أجابه الرجل فى هدوء :

— اطمئن ياسيدى .. كلانا يعمل فى الجانب نفسه .

قال السفير فى صرامة :

— أى جانب تقصد ؟

خيل إليه أن لهجة الشاب قد حملت الكثير من الاحترام والتوقير ، وهو يجيب بكلمة واحدة ، واقتضاب حاسم :

ـــ (مصر) ..

سرت قشعريرة مهابة فى جسد السفير ، وانخفضت فوهة مسدسه على نحو غريزى ، وهو يغمغم :

ـــ (مصر) ؟!

ثم عادت فوهة مسدسه ترتفع إلى وجه الرجل فى حزم ، وهو يستطرد :

ـــ كل ما يمكننى أن أثق به هو أنك مصرى ، كما تؤكد لغتك ولهجتك ، ولكن كيف لى أن أثق بأنك تعمل فى الجانب الخيِّر لوطننا ؟

أجابه الرجل فى هدوء يبعث الثقة فى النفس :

ـــ كان يمكننى أن أطلق النار على رأسك مباشرة ، بدلًا من أن أتحدث إليك هكذا .

خفض السفير فوهة مسدسه فى بطء ، وقد بدا له الجواب منطقيًا واضحًا للغاية ، وغمغم فى حيرة :

ـــ ولكن مَنْ أنت ؟.. وكيف وصلت إلى هنا حقًا ؟

وضع الرجل مدفعه الآلىَ جانبًا ، وتقدم إلى دائرة الضوء ، لتبدو ملامحه الوسيمة أكثر وضوحًا ، وهو يقول :

ـــ إننى رجل مخابرات مصرى ، ومعذرة لعدم استطاعتى إضافة المزيد .

غمغم السفير فى اهتمام :

ـــ إننى أقدِّر ذلك .. وأظن الجواب يمنح تفسيرًا للسؤالين .

ثم أضاف فى توتُّر :

ـــ ولكنك تحتاج إلى رعاية طبِّية ، فلقد فقدت الكثير من الدماء .

غمغم (أدهم) ، وهو يجلس إلى جواره على طرف الفراش :

ـــ أظننى أحتاج إلى ما هو أكثر من ذلك يا سيِّدى .

سأله الرجل فى لهفة واهتمام :

ـــ مثل ماذا ؟

أجابه وهو يلقى جسده فوق الفراش :

ـــ النوم مثلًا ..

وعندما لامست رأسه الوسادة ، لم يكن ما استغرق فيه مجرَّد نوم ..

لقد كانت غيبوبة ..

غيبوبة عميقة ..

* * *

هبّ (إفرايم) من فراشه ، والتقط مسدّسه الضخم فى تحفّز ، إثر طرقات خافتة على باب حجرته ، وقفز نحو الباب ، وهو يقول فى حذر :

— من الطارق ؟

أتاه صوت خافت قلق ، يقول :

— إنه أنا .. (فيلا) ..

أسرع (إفرايم) يفتح باب الغرفة ، وجذب (فيلا) إلى الداخل ، وأغلق الباب خلفه ، وهو يسأله فى توتّر :

— حسنًا .. ماذا خلفك هذه المرّة ؟

أجابه (فيلا) فى صوت مضطرب :

— لقد رأيت درّاجة بخارية تحمل شعار (أنزيو) ، وهى تتسلّل براكبها إلى المدينة ، منذ نصف الساعة .

عقد (إفرايم) حاجبيه ، وهو يقول فى حدّة :

— وهل يستحق هذا الخبر أن توقظنى ، فى مثل هذه الساعة ؟

تراجع الرجل فى قلق ، وهو يقول بنفس الصوت الخافت :

— لا يا سنيور (إفرايم) .. لم يكن ليستحق ذلك ، لو أن راكب الدرّاجة هو أحد رجال (أنزيو) .

استيقظت غريزة (إفرايم) ، وهو يقول فى اهتمام :

— مَنْ كان إذن ؟

مال (فيلا) على أذنه ، هامسًا فى انفعال :

— لقد كان ذلك الرجل ، الذى أعطيتنى صورته هذا الصباح ، وطلبت منّى إبلاغك فور وصوله .

سرت ارتجافه قوية فى جسد (إفرايم) ، وهو يتراجع فى حركة حادّة ، هاتفًا بكل ما جاش فى صدره من انفعالات :

— (أدهم صبرى) ؟!

أومأ (فيلا) برأسه ، قائلًا فى حماس :

— إنه هو .

ثم أضاف ، وهو يلوّح بكل ذراعيه :

— لقد كان منهكًا للغاية ، وكان قميصه ممزّقًا ، وذراعه تنزف ، ولكننى تعرّفته .

هتف (إفرايم) فى لهفة :

— وأين ذهب ، بعد وصوله إلى المدينة ؟

هزّ (فيلا) رأسه ، وهو يقول فى أسف :

— لم يمكننى تعقّبه يا سنيور ، فقد كان يتفادى المناطق المألوفة ، حتى لا يلتقى برجل شرطة على الأرجح ، وكان ....



سرت ارتجافة قوية فى جسد (إفرايم) ، وهو يتراجع فى حركة حادة ..

قاطعه (إفرايم) فى سخط :

— اللعنة !.. بم يفيدنى أن أعلم أنه هنا ، فى المدينة ، وأنا أجهل إلى أين ذهب ؟

ابتسم (فيلا) فى دهاء ، وهو يقول :

— اطمئن يا سنيور (إفرايم) ، إنه لن يختفى فى أعماق الأرض ، وما دام لن يفعل ، فإنه فى اللحظة الأولى ، التى يغادر فيها مكمنه ، سيتعرّفه أحد رجالى ، ممن نشرْتهم فى طول المدينة وعرضها ، ويبلغك بموضعه فى غضون دقائق .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— لقد أخبرتك من قبل أن تطمئن يا سنيور (إفرايم) ، فما دام (أدهم صبرى) هذا قد وضع أقدامه فى مدينتنا ، فهو لن يغادرها حيًّا أبدًا .. اطمئن .

* * *

على الرغم من أن عمل مدير المخابرات المصرية ، لا يتجاوز التخطيط والمتابعة ، ومراجعة تقارير رجاله ، التى ترد من كل أنحاء العالم ، إلا أن هذا العمل يضطره فى معظم الأحيان إلى السهر حتى مطلع الفجر ، خلف مكتبه فى إدارة المخابرات العامة ، مثلما حدث فى تلك الليلة ، التى انتهى فيها من مراجعة

بعض التقارير البالغة الخطورة ، ثم عاد إلى منزله فى السابعة صباحا ، وأعدت له السيدة زوجته قدحا من القهوة ، تناوله فى بطء ، وعاد إلى مكتبه ، ليواصل عمله حتى الحادية عشرة ظهرا ، وعندما شعر بعدم قدرته على مواصلة الاستيقاظ ، وهمّ بمغادرة مكتبه ، ارتفع رنين هاتفه الخاص على نحو متصل ، فالتقط سماعته ، وهو يقول فى ضجر :

ـــ من المتحدث ؟

أتاه صوت واضح ، يقول فى تردد :

ـــ أنا سفير (مصر) فى (المكسيك) .. هل أتحدث إلى مدير المخابرات العامة فى (مصر) ؟

لم يكد مدير المخابرات يسمع اسم (المكسيك) ، واسم السفير المصرى هناك ، حتى ارتبط الأمر فى ذهنه بـ (أدهم صبرى) و (منى) ، ومهمتهما فى تلك الدولة ، وتذكر كيف أنه قد رفض إبلاغ السفير المصرى بما سيدور على أرض الدولة ، التى يمثل دولته فيها ، وبدت له كل تلك الوقائع وكأنها تشير إلى حدوث اضطرابات أمنية ، أثارت خوف السفير ، فعاد يجلس على مقعده ، وهو يقول فى اهتمام :

ـــ نعم .. أنت تتحدث إلى مدير المخابرات العامة المصرية ، ما الذى يمكننى تقديمه لك ؟

تردد السفير لحظة أخرى ، ثم قال :

ـــ فى الواقع ، لدىّ هنا رجل يدّعى أنه ينتمى إليكم ، و .....

قاطعه المدير فى لهفة :

ـــ أهو وسيم ، طويل القامة ، عريض المنكبين ؟.. هل أخبرك باسمه ؟ .. هل تصحبه فتاة حسناء ؟.. هل .....

قاطعه السفير هذه المرة ، قائلا فى توتر :

ـــ مهلا يا سيدى .. الرجل فاقد الوعى ، ولم يخبرنى بالكثير ، ولكنه كما تقول وسيم طويل عريض المنكبين ، وإن لم يخبرنى باسمه بعد ، ولقد أتى وحده ، وخدع حراس السفارة ، وتسلل إلى حجرتى الخاصة دون أن يشعر به أحد ، وهو مصاب ، والملحق الطبى يعالج جروحه ، ويستخرج من جسده رصاصة أو رصاصتين تقريبا ..

سأله المدير فى قلق :

ـــ ومتى وصل إليكم هذا الرجل ؟

أجابه السفير :

ـــ منذ نصف الساعة .. أنت تعلم أنكم تسبقوننا فى التوقيت بثمانى ساعات كاملة ، فلم تتجاوز ساعاتنا الثالثة صباحا بعد .

عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول فى اهتمام شديد :

ـــ إنه رجلنا على الأرجح ، واسمه هو (أدهم صبرى) ، ولكن قل لى .. ألم يحدثك بشىء عن زميله ، أو نتيجة مهمّته ؟.. ألم يخبرك عمّا إذا كان قد أتم المهمّة أم لا ؟

أجابه السفير :

ـــ لا يا سيّدى ، ويبدو أنه من ذلك النوع ، الذى يحتفظ بالأسرار ، كما يحتفظ بحياته ، فهو لم يبُح بحرف واحد ، حتى فى غيبوبته .

زفر مدير المخابرات فى ضيق ، واعتدل قائلًا فى حزم :

ـــ حسنًا .. امنحه كل العناية ، والتسهيلات اللازمة ، واطلب منه أن يتصل بى فور استعادته الوعى .

غمغم السفير :

ـــ كما تطلب .

وانتهى الاتصال على هذا النحو ، فى نفس اللحظة التى دلف فيها الرائد (وحيد) إلى مكتب مدير المخابرات ، قائلًا :

ـــ سيّارتك تنتظر يا سيّدى ، للعودة بك إلى المنزل .

عقد المدير حاجبيه ، قائلًا فى حزم :

ـــ لن أعود إلى المنزل يا (وحيد) ، فلم تعُد بى رغبة فى

النوم .. سأنتظر مكالمة هاتفية من المكسيك ، قبل أن يشنّ (أدهم) حربًا خاصّة ، على المدينة كلها .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى جدّة :

ـــ وهو لن يتردّد عن فعلها ..

* * *



٤ — خُطْوة فخُطْوة ..

انهمكت (منى) فى تدليك كاحلها الملتوى ، الذى راح يتحسّن تدريجيًا ، فى محاولة منها لإلهاء عقلها عن التفكير فى (أدهم) ، وما يتعرّض له من خطر ، عندما انفتح باب حجرتها فى حنق ، وبدا على عتبته (بانشو) غاضبًا ، يقول فى حدّة :

— ربما كان ينبغى أن أقتلك على الفور ، دون الانتظار حتى نهاية فترة الرهان .

كان للعبارة فى نفسها وقعٌ حسن ، أثلج صدرها ، وأرسل الارتياح إلى قلبها ، فابتسمت ابتسامة واسعة ، وهى تقول :

— أيعنى هذا أن (أدهم) قد صفعكم جميعًا على مؤخرات أعناقكم ؟

صاح فى غضب :

— أتتعمدين استفزازى يا امرأة ؟.. أتتعجلين الموت إلى هذا الحدّ ؟

أطلقت ضحكة قصيرة ، وقالت :

— أتتعجل أنت الهزيمة ؟

عقد حاجبيه فى شِدّة ، وهو يقول فى حِدّة :

— لن يهزمنى رجلك هذا أبدًا .. ربما ربح جولة أو جولتين ، ولكنه لن يهزمنى أبدًا .

أطلقت ضحكة ساخرة أخرى ، فازدادت حِدّةُ صوته ، وهو يهتف :

— إن رجلك ليس متفوّقًا كما تعتقدين .. إنه كالفأر الحبيس .. لم يَعُد له مكان يلجأ إليه سوى (مكسيكو سيتى) ، ولقد جنّدت كل رجالى هناك لانتظاره ، والبحث عنه ، وقتله فور رؤيته ، ولتعلمى أنه يقاتل دون توقف ، منذ صباح أمس ، وهذا يَعْنى أنه سيكون الآن منهكًا ، متهالكًا ، حتى أنه لن يستطيع مقاومة فأر يقرض أصابعه .

ابتسمت فى ثقة ، وهى تقول :

— لا تثق بقولك هذا كثيرًا أيها الوغد ، فقد يذهلك حقًا ما قد يفعله ذلك الرجل ، بعد قتال يوم كامل دون توقف .

صرخ فى ثورة :

— إنما هو رجل عادى .

أجابته فى سُخرية باردة :

— أتراهن ؟

قفزت يده فى غضب إلى غِمْدِه ، حيث استقر مسدسه ، ثم توقفت فى طريقها بغتة ، وتجمدت نظرة صارمة فى عينى (بانشو) ، قبل أن يقول فى حِدَّة :

— سنرى .

أجابه (منى) فى صرامة :

— نعم .. سنرى .

* * *

تسلل صوت هادئ إلى مسامع (أدهم) ، وهو يستعيد وعيه ، فاحتفظ بعينيه مغلقتين ، وهو يستمع إلى السفير ، يقول للملحق الطبى فى قلق :

— إنه أحد رجالهم حقًا ، لقد أكَّد لى رئيسه ذلك ، ولكن هذا يدهشنى فى الواقع ، فلم يتم إبلاغى بالأمر رسميًا حتى الآن .

أجابه الملحق الطبى :

— ربما هى عملية بالغة السرية ، أو بالغة الخطورة .

قال السفير فى ضيق :

— ولو .. فى الحالتين ينبغى إبلاغى ، فربما أدت تلك

العمليات السرية إلى عواقب سياسية ، ومن الضرورى أن أملك تبريرًا منمقًا وقت اللزوم .

غمغم (أدهم) ، وهو ينهض من فراشه :

— ليس هذا ضروريًا كما تعتقد يا سيدى .

التفت إليه السفير والملحق الطبى فى دهشة ، وهتف الأخير :

— هل استعدت وعيك ؟

أجابه فى حزم ، وهو يغادر الفراش ، ويبحث بعينيه عن قميصه :

— كم الساعة الآن يا سيدى ؟

قال السفير :

— إنها الثامنة والنصف صباحًا .

وأضاف الملحق الطبى فى قلق :

— ولكننا لن نسمح لك بمغادرة الفراش ، فلقد نزفت الكثير من دمائك ، واستخرجت أنا من جسدك رصاصتين ، و .....

قاطعه (أدهم) ، وهو يبتسم فى هدوء :

— آه !! كان ينبغى أن أتوجه لك بالشكر يا سيدى ، فمن



ابتسم السفير ، على الرغم منه ، وهو يتطلع إلى عضلات (أدهم) البارزة ، وقال : سأقرضك أحد قمصانى ، فقميصك لم يَعُد صالحًا للاستخدام ..

الواضح أنك قد فعلت الكثير من أجلى ، ولكن الوقت المتبقى لا يسمح لرجل مثلى بالبقاء فى فراش وثير ، ودولته مهدَّدة بخطر جسيم .

لم يجرؤ أحدهما على التفوُّه بحرف واحد ، إزاء عبارته الأخيرة ، قبل أن يضيف هو فى هدوء :

ــ والآن أين قميصى ، ومدفعى الآلى ؟

ابتسم السفير ، على الرغم منه ، وهو يتطلع إلى عضلات (أدهم) البارزة ، وقال :

ــ سأقرضك أحد قمصانى ، فقميصك لم يَعُد صالحًا للاستخدام ، أمّا بخصوص مدفعك الآلى ، فإننى أتساءل ، كيف يمكنك السَّير به وسط المدينة ؟

أجابه (أدهم) فى بساطة :

ــ سأفكّكه وأحمله فى حقيبة صغيرة .

وألقى نظرة على وجهه ، فى مرآة قريبة ، قبل أن يضيف :

ــ وسأتخلص من ذلك الشعر الأشقر ، وأستعيد ملامحى الأصلية .

غمغم السفير :

ــ كنت أعلم أنه مصبوغ .

ثم أضاف فى صوت مرتفع ، ولهجة حاسمة :

ـــ قبل أن تفعل أى شىء من هذا ، اتصل بمديرك أوَّلا .

قال (أدهم) فى هدوء :

ـــ بالطبع .. هل يوجد هاتف قريب ؟

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـــ فى حجرة مغلقة .

ابتسم السفير ، وقد أدرك مايعنيه ، وقال :

ـــ بالطبع ..

وفى أعماقه شعر بالارتياح ؛ لأن هذا الشاب قد استعاد وعيه .

ولأنه مصرى ..

* * *

لم يكد رنين الهاتف الخاص بمدير المخابرات يرتفع ، حتى اختطف سماعته ، ووضعها على أذنه ، هاتفًا :

ـــ من المتحدِّث ؟

أتاه صوت (أدهم) عبْر الأسلاك ، يقول :

ـــ إنه أنا يا سيِّدى .. (ن ـــ ١) .

هتف المدير فى لهفة :

ـــ كيف حالك يا (ن ـــ ١) ؟.. أين زميلتك ؟. وأين موقفك من المهمَّة الآن ؟

قصَّ عليه (أدهم) القصة كلها ، بأدق التفاصيل ، دون أن يقاطعه المدير لحظة واحدة ، حتى انتهى من روايته ، فقال المدير فى حزم :

ـــ لقد تعقَّدت الأمور كثيرًا يا (ن ـــ ١) ، ولم يَعُد من المنطقى أن تواصل مهمتك هناك .

قال (أدهم) فى حزم :

ـــ بل صار من المحتَّم أن أواصلها يا سيِّدى ، فـ (منى) بين يدى ذلك الوغد (باتشو) ، وموعد إتمام الصفقة يقترب فى سرعة ، و .....

قاطعه رئيسه فى صرامة :

ـــ غد يا (ن ـــ ١) ..

ران الصمت عبْر الأسلاك لحظة ، ثم قال (أدهم) فى لهجة حازمة للغاية :

ـــ أنت تعلم أن هذا مستحيل يا سيِّدى .

هتف رئيسه فى صرامة :

ـــ لا تجادل الأوامر يا (ن ـــ ١) .. لقد باءت مهمتك

بالفشل ، و (بانشو) لن يقبل عرضك لنيل الصفقة لحسابنا ، سواء ربحت تلك المباراة السخيفة أو خسرتها ؛ لأنه سيبغضك كل البغض لو ربحت ، وسيقتلك لو فشلت ، أما وصولك إلى وكره السرّى ، فى هذه المهلة القصيرة ، التى لم تعْد تتجاوز اليومين ، فهو المستحيل بعينه يا (ن ــ ١) ، وهذا يعْنى أن الأمور تحتم علينا الانتقال إلى الخُطّة البديلة ، حيث سيقوم سفيرنا بنفسه بالتفاوض مع (بانشو) ، و ...

قاطعه (أدهم) فى حزم :

ــ لن يتم هذه العملية سواى ياسيِّدى .

صاح المدير فى غضب :

ــ لاتناقش الأوامر الملقاة إليك أيها المقدّم .. عُدْ على الفور ، أو .....

احتبست العبارة فى حلق المدير ، عندما نقلت إليه أسلاك الهاتف صوت (أدهم) الصارم ، وهو يقول :

ــ إننى مستقيل .

اتسعت عينا المدير فى دهشة ، وهو يغمغم .

ــ ماذا ؟!

أجابه (أدهم) فى حِدّة :

ــ أقول إننى مستقيل ياسيِّدى ، وأعتقد أن هذا لايجبرنى على طاعة الأوامر .

ثم انتزع أسلاك الهاتف فى حركة حادّة ، وهو يضيف مغمغمًا :

ــ وأعتقد أنه سيمضى وقت طويل ، قبل أن يتم إبلاغ السفير بأوامر تنفيذ الخطّة المضادة .

قالها ونهض فى حزم ، وغادر الحجرة ، فاستقبله السفير مبتسمًا ، وهو يقول :

ــ خُذْ .. ها هو ذا مدفعك الآلىّ ، ولكن ، أما زلت تصرّ على مغادرة السفارة الآن ؟

ارتسمت على شفتى (أدهم) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ــ كما سبق أن أخبرتك ياسيِّدى .. المهمّة لاتحتمل التأخير ، بالإضافة إلى أننى .....

صمت لحظة ، قبل أن يلتقط المدفع الآلى ، مستطردًا فى حزم :

ــ لم يعُد لدىّ ما أخسره .

وغادر المكان فى إصرار ، ليبدأ حربه ..

حرب (أدهم صبرى) الخاصّة ..

* * *

٥ ــ حرب (أدهم) ..

انعقد حاجبا (جوليات) فى شدة ، انتفض جسده داخل سيارته ، وهو يتطلّع إلى مدخل السفارة المصرية ، حيث وقف (أدهم) هادئًا ، يتطلّع حوله ، وهتف فى صوت مبحوح ، من فرط الانفعال :

ــ ها هو ذا .

تألّقت عينا (إفرايم) ، وهو يقول فى كلمات تقطر بشعوره الظافر :

ــ ألمْ أقل لك ؟.. كان ينبغى أن تثق بى تمامًا يا رجل .. لقد قدّرت أنه ما دام قد اختفى طيلة الليل ، فلا ريب أنه فى مكان لا نملك فيه عينًا ، ويجد هو فيه أمنه فى الوقت ذاته ، ولن تتوافر الصفتان إلا فى سفارته .

أخرج (جوليات) مسدسه ، وهو يقول فى انفعال :

ــ هل أقتله ؟

أجابه (إفرايم) فى حسم :

ــ انتظر حتى يغادر السفارة تمامًا ، فمن الأفضل ألا نسمح له بالإفلات من رصاصاتنا هذه المرّة .

سرت ارتعادة فى جسد (جوليات) ، وهو يقول بصوت متحشرج :

ــ يا للشيطان !!.. انظر .. إنه يلتفت إلينا .. أتظنه لاحظ أننا ..... ؟

بتر عبارته ، واتسعت عيناه فى ذُعر ، قبل أن يستطرد :

ــ اللّعنة !! إنه يتجه إلينا .

ثم ضغط دوّاسة الوقود ، صارخًا :

ــ فليكن ما يكون .. سأقتله .

وانطلق بالسيارة نحو (أدهم) ، وصوّب مسدسه إليه .. وأطلق النار ..

* * *

أدرك (أدهم) طبيعة السيارة وراكبيها من النظرة الأولى ، وأدرك أن خصومه لن يتوقفوا عن مطاردته لحظة واحدة ، ما داموا لم يظفروا به بعد ..

ثم إنه كان يعلم مَنْ هم خصومه ..

لقد كان يواجه فريقين فحسب ..

(بانشو سيلازر) ورجاله ..

و (الموساد) ..

وكانت ملامح (جوليات) و (إفرايم) تؤكد أنهما ليسا من رجال (بانشو) ..

وعندما اتجه (أدهم) إليهما ، كان يعلم أنهما لن يكتفيا بالتطلُّع إليه ، وأنهما سيهاجمانه فى شراسة ..

ولكنه كان مستعدًا ..

ولم تكد يد (جوليات) تطلّ خارج السيارة ، وهى تحمل المسدَّس ، وقبل حتى أن تنطلق السيارة ، كان (أدهم) ينقض ..

ولقد بعثت انقضاضته الرُّعب فى نفس (جوليات) ، فصرخ فى ذُعر :

ـــ اللَّعنة !.. إنه يهاجمنا .

وطاشت رصاصاته كلها فى الهواء ، مما أثار ذُعر (إفرايم) بدوره ، فانتزع مسدَّسه ، وصوَّبه إلى (أدهم) ..

وفجأة ، قفز (أدهم) فى الهواء ، واعتلى مقدمة السيارة ، متجاهلًا الرصاصات ، وقفز مرَّة أخرى فوق سقف السيارة ، فصرخ (جوليات) :

ـــ إنه فوق .. فوقنا .

رفع (إفرايم) مسدَّسه على الفور ، وراح يُطلق النار على سقف السيارة ، وهو يهتف :

ـــ لن يفلت منا .. سأحظى بلقب الرجل الذى قتل الـ .....

قبل أن يتمَّ عبارته ، كان جسد (أدهم) يخترق زجاج السيارة الخلفى ، ويستقر على المقعد الخلفى ، وتنقضّ قبضته على فك (إفرايم) كالقنبلة ..

كل هذا فى جزء من الثانية ، حتى أن (جوليات) أصيب بالذُّهول ، وهو يحدِّق فى جسد زميله ، الذى ارتطم بالزجاج الأمامى للسيارة ، ثم تهاوى على مقعده فاقد الوعى ..

وبخفَّة مذهلة ، التقط (أدهم) مسدَّس (إفرايم) ، وألصقه بمؤخرة عنق (جوليات) ، قائلًا فى صرامة تجمَّدت لها الدماء ، فى عروق هذا الأخير :

ـــ قف .

وبآلية مطلقة ، ضغط (جوليات) كمابحة السيارة ، التى انحرفت وهى تصرخ بصرير مخيف ، وتوقَّفت على جانب الطريق ، ورفع (جوليات) ذراعيه ، وهو يرتجف ، ويهتف فى رُعب :

ـــ لا تقتلنى يا مستر (أدهم) .. لا تفعل .

قال (أدهم) فى صرامة :



قبل أن يتمّ عبارته ، كان جسد (أدهم) يخترق زجاج السيارة الخلفى ، ويستقر على المقعد الخلفى ، وتنقضّ قبضته على فك (إفرايم) كالقنبلة ..

— هذا يتوقّف على تعاونك معى يا رجل .

اختلس (جوليات) النظر إلى زميله الفاقد الوعى ، وغمغم فى خوف :

— سَلْ ما بدا لك يا مستر (أدهم) ، ولكن لا تقتلنى .

سأله (أدهم) فى صرامة :

— أين مخبأ (بانشو) ؟

هتف (جوليات) فى انهيار :

— لست أدرى يا مستر (أدهم) .. أقسم لك إننى لست أدرى .. حتى مخابرات دولتى تجهل ذلك .. أقسم لك .

عاد (أدهم) يسأله فى صرامة أشدّ :

— من يمكنه أن يجيب عن هذا السؤال ؟

هتف (جوليات) :

— أحد رجاله فقط يا مستر (أدهم) .. أحد من يقيمون فى ذلك المخبأ اللعين .

صمت (أدهم) لحظات ، ثم سأله فى حسم :

— أأنت وزميلك المكلفان إنهاء الصفقة مع (بانشو) ؟

تردّد (جوليات) لحظات ، إزاء هذا السؤال ، ولكن فُوّهة المسدّس الباردة ، التى لكزته فى مؤخرة عنقه ، جعلته يجيب فى سرعة :

— نعم .. هذا صحيح .

عاد (أدهم) يسأله :

— أين ثمن الصفقة إذن ؟

تردد (جوليات) مرة أخرى ، فعاد (أدهم) يلكزه بفوهة المسدس ، قائلًا :

— أتحتاج إلى ما ينشط ذاكرتك ؟

غمغم (جوليات) في توتر :

— وما شأنك أنت بالمال ؟

هتف (أدهم) في صرامة :

— أجب فحسب .

وفجأة ، ارتفع صوت بوق سيارة شرطة تقترب ، بعد أن أبلغها البعض عن تبادل إطلاق النيران في المنطقة ، فعقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يضيف في حزم :

— قلت أجب .

وبغتة ، هبّ (إفرايم) ، وهوى على فك (أدهم) بلكمة قوية ، وهو يهتف :

— ألم تفهم يا رجل ؟.. لا شأن لك بالمال .

ولم تكد اللكمة ترتطم بفك (أدهم) ، حتى انتزع

(جوليات) مسدسه ، ودار حول نفسه في سرعة ، وهو يصرخ بكل ما اختزن في أعماقه من توتر وحنق :

— مُتْ أيها المصري .. مُتْ ..

وانطلقت رصاصة قاتلة من فوهة مسدسه ..

* * *

حدق السفير المصري في سلك الهاتف المقطوع في دهشة ، ولوّح بكفه في حيرة ، وهو يقول للملحق الطبي :

— عجبًا !!.. لِمَ فعل هذا ؟

هزّ الملحق الطبي رأسه ، وهو يغمغم في حيرة مماثلة :

— لست أدري ..

وفجأة ، برقت في ذهنه فكرة جنونية ، إلا أنها بدت متناسبة مع شخصية (أدهم) ، فهتف :

— ربما لم يعجبه حديثه مع مدير المخابرات ، أو ..... أو أنهم قد أعفوه من مهمته .

عقد السفير حاجبيه ، وغمغم في قلق :

أعفوه من مهمته ؟

ثم انحنى يلتقط الأسلاك المقطوعة ، وهو يستطرد في انفعال :

— من حسن الحظ أن الأسلاك المقطوعة يُمكن وصلها .

لم يكد يتم عبارته ، حتى دوّى صوت الرصاصات في الخارج ، فتبادل السفير والملحق الطبي نظرة قلق ، وبرزت في رأسيهما فكرة واحدة ، ثم اندفعا معًا إلى نافذة الحجرة ، واتسعت عيونهما في ذهول ، وهما يحدقان في ذلك المشهد المذهل ، لـ (أدهم) وهو يهاجم السيارة ، وينحرف بها جانبًا ، ثم هتف السفير :

— ينبغي الاتصال بمدير المخابرات مرة أخرى حتمًا . هذا الرجل سيشن حربًا شخصية على المدينة كلها ، ومَن يدرى ؟.. قد ينتصر عليها ، ويضعنا في موقف حرج .

وأسرع يوصل الأسلاك ، مستطردًا :

— أقصد دبلوماسيًا .

* * *

من سوء حظ رجل (الموساد) (إفرايم) و (جوليات) ، أن (أدهم صبرى) لم يكن بالرجل الذى يتلقّى ضربتين من مصدر واحد ..

ليس في وقت محدود على الأقل ..

لقد هوت لكمة (إفرايم) على فكّه ، والتفت مسدس

(جوليات) إليه ، فتحرّك في سرعة ، وهوى بقبضته على فكّ (جوليات) كالقنبلة ، فطاشت رصاصة هذا الأخير ، وقذفته اللكمة خارج السيارة ، في نفس اللحظة التي هوت فيها قبضة (إفرايم) على فكّ (أدهم) بلكمة أخرى ، تلقّاها هذا الأخير على ساعده ، وهو يهتف :

— مُحال أيها الوغد .. لن تفلح مرّتين أبدًا .

وعندما هوت قبضة (أدهم) على فكّ (إفرايم) ، كانت لكمته كالصاعقة ، انتزعت (إفرايم) من مقعده ، وألقته نحو زجاج النافذة ، ليهشّمه ويسقط فوق مقدّمة السيارة ، ثم يتدحرج عنها إلى الأرض ، في حين قفز (أدهم) إلى مقعد القيادة ، وانطلق بالسيارة ، هاتفًا في سُخرية :

— هيّا يا شرطة (مكسيكو) .. فلتبدأ الحرب ..

وبدأت الحرب بالفعل ..

بدأت بمطاردة ..

* * *



٦ — نحو القمَّة ..

انطلق (أدهم) بالسيارة ، دون أن يعبأ لحظة بما يُمكن أن يُسفر عنه تحدّيه العلني لرجال الشرطة المكسيكية ..

كان رجلًا لا يملك حقًّا ما يخسره ، لو أنه واصل القتال ، ولكنه يخسر الكثير ، لو توقف فى هذه اللحظة ..

يخسر (منى) ..

وتحدّيه لـ (بانشو) ..

ونفسه ..

وعندما كانت سيارة الشرطة المكسيكية تطارده ، كان ينطلق فى بساطة ، وكأنه يؤدّى عملًا روتينيًّا تقليديًّا ..

وفجأة ، انحرف على نحو حادّ ، ودار بسيارته حول محورها ، ثم انطلق نحو سيارة الشرطة مباشرةً ..

وكانت مفاجأة مذهلة لرجال الشرطة ، وانحرف سائق سيارتهم فى ذُعر ، فارتطم بإفريز الطريق ، وانقلبت السيارة فى عنف ، فى حين واصل (أدهم) طريقه بلا توقف ، وهو يقول فى حزم :

— معذرة أيها السادة .. لم يعُد هناك ما يكفى من الوقت للعبث معكم .

انطلق بالسيارة يجتاز طرقات (مكسيكو) ، حتى بلغ مكتب (برناردو) لاستئجار السيارات ، ورأى (برناردو) أمام المتجر ، يشير لبعض العاملين ، الذين انهمكوا فى تركيب ألواح الزجاج فى باب المتجر الجديد ..

واندفع (أدهم) نحو المتجر ، واخترق الباب الجديد كقذيفة مدفع ، وتهشَّم الزجاج فى عنف ، وتناثر فى كل مكان ، فصرخ (برناردو) فى رُعب :

— لا .. ليس ثانية .

وتراجع العاملون فى ذُعر ، عندما رأوا (أدهم) يقفز من السيارة ، وينقضّ على (برناردو) ، الذى انهار هاتفًا فى رُعب :

— الرَّحمة ياسنيور !! أُقسِم لك إننى أجهل كل شىء ..

جذبه (أدهم) من عنقه فى عُنف ، وغاصت قبضته فى معدته فى قوة ، جعلت (برناردو) يشهق فى ألم ، ويصرخ فى انهيار :

— الرَّحمة ياسنيور !!



واندفع (أدهم) نحو المتجر ، واخترق الباب الجديد كقذيفة مدفع ..

أجبره (أدهم) على الوقوف ، وهو يسأله فى صرامة مخيفة :

ــ أين مخبأ (بانشو) السرّى ؟

هتف (برناردو) فى هلع :

ــ لست أدرى ياسنيور .. أقسم لك .

هوى (أدهم) على معدته بلكمة أخرى ، وهو يهتف :

ــ أين المخبأ ؟

صرخ (برناردو) :

ــ لا أحد يعرفه سوى رجال (بانشو) ياسنيور .. لا أحد يعرفه .

جذبه (أدهم) فى عنف ، قائلاً فى صرامة :

ــ وأنت .. ألست من رجال (بانشو) ؟

لوّح الرجل بذراعيه فى هلع ، وهو يهتف :

ــ لا ياسنيور .. لست أحد رجاله .. إننى تاجر سيارات مسكين .. كل ما أعرفه هو أن السنيور (بانشو) يرسل إلىّ أحيانًا صورة شخص ما ، عبْر جهاز (الفاكسميل) ، فيكون علىّ أن أعطى هذا الشخص سيارة ملغومة .. هذه كل صلتى بسنيور (بانشو) ..

ضم (أدهم) قبضته فى صرامة ، أمام وجه الرجل ، وهو يسأله :

— مَنْ مِنْ رجال (بانشو) هنا إذن ؟

هتف (برناردو) :

— لست أعرف منهم سوى سنيور (سيلفيو) ، وسنيور (زاباتا) ، وسنيور (أنزيو) .. حتى سنيور (ألفريدو) ، طيّاره الخاصّ ، لا يأتى إلى هنا إلا لابتياع طعام لرجال (بانشو) فحسب .

عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول :

— مَنْ منهم يقيم بالقرب من هنا ؟

أجابه الرجل ، وصوت أبواق سيارات الشرطة يقترب :

— سنيور (زاباتا) .. إنه صاحب المتجر الضخم ، فى نهاية هذا الشارع .. إنه الوحيد الذى قد يعلم شيئًا عن الوكر السّرّى .

دفعه (أدهم) بعيدًا ، وهو يقول :

— لا بأس .. هذا يكفى .

ثم قفز داخل السيارة ، فى نفس اللحظة التى وصلت فيها سيارات الشرطة إلى المكان ، فتراجع بسيارته فى عنف ، واصطدمت مؤخرة سيارته بجانب سيارة الشرطة ، فصاح ضابط الشرطة المكسيكى ، وهو يلوّح بمسدسه :

— قِف يا رجل ، وإلّا .....

قبل أن يتمّ عبارته ، انطلقت رصاصة من مسدس (أدهم) ، الذى انتزعه من (إلفرايم) ، فأطاحت بمسدس الضابط ، ثم انطلقت أخرى هشمت زجاج سيارة الشرطة الأماميّ ، ومرقت منه لتنفذ من الخلفيّ ، وانطلقت ثالثة تثقب إطار السيارة الأمامى ، ورابعة تثقب الخلفيّ ، قبل أن ينطلق (أدهم) بسيارته كالصاروخ ..

وصرخ ضابط الشرطة فى غضب وحَنَق :

— اللّعنة !.. كيف يفلت منّا هكذا ؟

هبّ (برناردو) من سقطته ، واندفع نحو سيارة الشرطة ، وهو يهتف فى ارتياع :

— سيذهب إلى متجر (زاباتا) .. إنه فى طريقه إلى هناك .

أدار الجميع عيونهم إلى حيث يقع متجر (زاباتا) ، ورأوا سيارة (أدهم) تدور فى صرير مزعج ، لتواجه مقدمتها واجهة المتجر الضخمة ..

ثم رأوا السيارة تقتحم متجر (زاباتا) ..

لقد كان (أدهم) يقاتل بكل قواه بالفعل ..

ولم يكن لديه ما يخسره ..

لم يكن لديه ما يخسره قطُّ ..

* * *

بدا (بانشو) شديد التوتر هذا الصباح ، وهو يجرع كئوس (التكيلا) ، واحدة بعد الأخرى ، دون أن يتناول طعام إفطاره ، وعندما سأله (ألفريدو) عما يفعله بصحته ، صاح به فى غضب :

— إنها صحتى أنا ، ولا شأن لكم بها .

عقد (ألفريدو) حاجبيه ، وهو يغمغم :

— لا بأس يا سنيور (بانشو) .. إنها صحتك ، ولكن .. حسنًا .. لن يعترضك أحد .

ألقى (بانشو) كأس (التكيلا) فى عنف ، وهو يهتف :

— لست أريد أية نصائح .. هل تفهمون ؟.. سأقتل أوّل من يوجّه لى نصحًا .

تراجع (ألفريدو) ، هاتفًا :

— لن ينصحك أحد يا سنيور (بانشو) .. اطمئن .

عاد (بانشو) يصب لنفسه كأسًا من (التكيلا) ، وهو يقول فى عصبيّة ، وكأنما يحدث نفسه فى صوت مرتفع :

— كيف لم يُوقعوا به حتى الآن ؟.. كيف ؟.. إنه مجرّد رجل واحد .. كيف ؟

ثم جرع الكأس دفعة واحدة ، وهتف وقد احتقن وجهه :

— لقد هزمنا جيوشًا من قبل .. كيف الآن نعجز أمام رجل واحد ؟

عاد يصب لنفسه كأسًا أخرى ، مستطردًا :

— وهذا الوغد (أنزيو) يقول إن .....

بتر عبارته بغتة ، وتجمّدت أصابعه حول كأسه ، ثم التفت إلى أحد رجاله ، قائلًا فى حزم وصرامة :

— أرسل رسالة شفرية إلى ذلك المدْعو (موريس) ، فى هيئة الطاقة الذرّية الأمريكية ، وقُل له إننى أريده هنا فجر الغد .

وأدار عينيه إلى (ألفريدو) ، وهو يلوّح بكفّه ، مردفًا :

— هل تصدّق ؟.. لقد جعلونى قلقًا بشأن ذلك العالم السخيف .

وجرع الكأس الأخرى دفعة واحدة ، فعاد وجهه يحتقن فى شدّة ، وهو يستطرد فى صوت خنقه الاحتقان :

— ولقد أمرتهم بالتخلّص من (أدهم صبرى) هذا ، ولكن .....

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع رنين الهاتف اللاسلكى الخاصّ به ، فالتقط سمّاعته فى سرعة ، ووضعها على أذنه ، قائلًا فى جدّة :

— أنا (بانشو) ، من الغبىّ الذى يتحدّث ؟

أتاه صوت أحد رجاله ، يقول فى انفعال :

— لدىّ خبر بالغ الأهمية ياسنيور (بانشو) .

قال (بانشو) فى حِدّة :

— أتمنّى أن يكون كذلك ، وإلّا فسيكون عنقك هو الثمن .

أجابه الرجل فى توتّر :

— إنه كذلك ياسنيور (بانشو) .. إنه كذلك ..

وأضاف فى سرعة ، بلهجة تحمل كل انفعاله :

— إنه بشأن ذلك المصرىّ ، الذى تبحث عنه .

اتسعت عينا (بانشو) ، وهتف فى حِدّة مضاعفة :

— ماذا عنه ؟.. أين هو ؟

أجابه الرجل ، وقد توسّم فى لهفة الصوت خيرًا :

— فى (مكسيكو) ياسنيور (بانشو) ، والشرطة هنا تطارده ، وأظنهم سيلقون القبض عليه ..

تألّقت عينا (بانشو) فى شراسة ، وهو يقول فى لهفة :

— رائع يارجال .. ستنال مكافأة سخيّة لقاء تلك المعلومة .

وأنهى المحادثة ، والتفت إلى أحد رجاله ، مستطردًا فى انفعال جارف :

— اتصل بكل رجل يتقاضى منّا بيزو واحدًا ، فى شرطة (مكسيكو) ، ومُرْهم جميعًا بمطاردة ذلك الشيطان المصرى ، وأبلغهم أننى سأدفع عشرة آلاف دولار أمريكى ، ثمنًا لرأس ذلك الرجل .. (أدهم صبرى) ..

* * *



٧ — الجيش ..

كانت مفاجأة مُذهلة حقًا لـ(زاباتا) ..

كان يجلس فى متجره ، منهمكًا فى عَدّ نقوده ، وحساب قيمتها ، عند تحويلها من البيزوتات المكسيكية إلى الدولارات الأمريكية ، ومتسائلًا عما يمكن أن يفعله بتلك الدولارات ، عندما اقتحم (أدهم) متجره بسيارته ..

لقد اقتحم (أدهم) المتجر كقنبلة ، وراحت سيارته تحطِّم كل مايعترض طريقها ، حتى اخترقت مكتب (زاباتا) الزُّجاجىّ الجدران ، وأثارت فيما حولها عاصفة من شظايا الزجاج ..

والتصق (زاباتا) بالحائط فى رُعب ، ثم قفز محاولًا التقاط مسدسه ، إلا أن (أدهم) قفز خارج السيارة ، وركله فى وجهه فى عنف ، ليضربه بالجدار ، ثم هَوَى على معدته بلكمة كالقنبلة ، انتفخت لها وجنتا الرجل ، وجحظت لها عيناه ، وصدر لها من أنفه صوت أشبه بالخوار ، قبل أن يحطِّم هذا الأنف إثر قبلة أخرى ..

واختلطت دموع (زاباتا) بدمائه وعظامه ، ولحم أنفه المفرىّ ، وغامت الرؤية أمام عينيه ، فبدا له مهاجمه أشبه بوحش كاسر ، جعله يهتف :

— لا .. الرَّحمة !! الرَّحمة !!

تصاعد دوىّ صفارات الشرطة ، مع صوت (أدهم) ، وهو يسأله فى صرامة :

— أين مخبأ (بانشو) السِّرِّىّ ؟

غمغم (زاباتا) فى ارتياع :

— ماذا ؟

لم يكد ينطقها حتى هوت لكمة (أدهم) على فكه ، وأطارت نصف أسنانه ، فصرخ بفم امتلأ بالدماء :

— ماذا تفعل بى ؟.. هذا غير قانونىّ .

دفعه (أدهم) إلى السيارة ، وهو يقول فى صرامة :

— غير قانونىّ ؟!.. كيف تقول ذلك ، وأنت صاحب مبدأ اللاقانونيات يا رجل ؟

ألقاه على المقعد المجاور له فى عنف ، ثم احتلّ مقعد القيادة ، وأدار المحرِّك ، فى نفس اللحظة التى توقفت فيها سيارات الشرطة أمام المتجر ، وهبط منها ضابط شرطة ، يهتف آمرًا :

— حاصروا المكان ، وأطلقوا النار فورًا .....

وقبل أن يتم عبارته ، كانت سيارة (أدهم) تخترق المتجر إلى الخارج ، ورصاصات هذا الأخير تنهمر على إطارات السيارات ، ثم ينطلق هو بالسيارة فى سرعة الصاروخ ..

وشدّ الضابط شعره ، صارخًا :

— هذا غير معقول .. غير معقول .. ما الذى يفعله بنا هذا الشيطان ؟

ثم التفت إلى سائقى سيارات الشرطة ، صارخًا :

— فليطارده أحدكم .. لا يقف الجميع هكذا .

أجابه أحدهم :

— لا يمكننى أن أفعل .. لقد ثقب مبرّد المياه الخاص بى .

وهتف آخر :

— وأفسد إطارين لسيارتى ..

وصاح ثالث :

— وثقب خزان وقود سيارتى .

احتقن وجه الضابط ، وراح يصرخ فى جنون :

— فلتذهبوا جميعًا إلى الجحيم .. أنتم تستحقون أن يهزمكم رجل واحد .. تستحقون ذلك .

ثم اختطف مسماع جهاز اللاسلكى من سيارته ، واستطرد مُختنقًا :

— إلى جميع وحدات شرطة (مكسيكو) .. نحن نطارد مُخرّبًا رهيبًا ، يحطّم المتاجر ، ويطلق الرصاص بلا حساب ، ولقد أفسد كل سياراتنا مع بدء المطاردة ، وهو يقود سيارة أمريكية ، من طراز (فورد) حمراء اللون ، تحمل أرقامًا من (تكساس) ، ولكن حذارِ .. إنه لا يخطئ إصابة أهدافه أبدًا .. هل تفهمون ؟.. أبدًا .

* * *

لم يكد (أدهم) ينحرف فى طريقين جانبيين ، حتى أوقف سيارته بضغطة حادّة على كمّاحتها ، ودفع (زاباتا) فى عنف ، قائلًا :

— اخرج .

أطاع (زاباتا) الأمر فى هلع ، وهو يقول :

— اسمع يا رجل .. لو أنك تطلب مالًا ، فسأفتدى نفسى بأى مبلغ تطلبه ، ولو أنك من عصابة منافسة ، فسأ .....

قاطعه فى صرامة :

— اصمت .



أطاع (زاباتا) الأمر فى هلع ، وهو يقول : — اسمع يا رجل .. لو أنك تطلب مالًا ، فسأفتدى نفسى بأى مبلغ تطلبه ..

ثم غادر السيارة بدَوْره ، واتجه إلى سيارة أخرى ، وحطَّم زجاج النافذة المجاور لمقعد السائق ، بضربة من كعب مسدسه ، وفتح الباب ، وهو يقول لـ (زاباتا) :

— اركب .

كانت أوامره مقتضبة حازمة ، تُلقى على نحو لا يقبل الجدل أو النقاش ، فأطاع (زاباتا) مستسلمًا ، وجلس إلى جواره ، يتطلَّع إليه فى توتُّر ، وهو ينتزع سلكين من جزء فى عجلة القيادة ، ويصل بعضهما ببعض ؛ ليدير المحرِّك ، ثم انطلق بالسيارة فى صمت ..

وغمغم (زاباتا) فى حَذَر :

— حسنًا .. كم تطلب ؟

أجابه (أدهم) فى صرامة :

— وكر (بانشو) السرِّىّ .

ازدرد (زاباتا) لُعابه فى صُعوبة ، وقال فى توتُّر :

— لا يمكننى أن أخبرك بما تطلب .. هذا مستحيل !

قال (أدهم) فى برود :

— أيهما .. مقتلك أم إخبارى ؟!

حاول (زاباتا) أن يزدرد لُعابه مرَّة أخرى ، إلَّا أنه وجد حلقه جافًّا فى شِدَّة ؛ فغمغم فى صوت أجش :

— إن ما تطلبه مستحيل يا رجل .. أتعلم ما الذى يمكن أن يفعله بى (بانشو) ، لو أننى أخبرتك ؟

صوّب إليه (أدهم) فوّهة مسدّسه ، وجذب إبرته ، وهو يقول فى حزم :

— يقتلك ؟

هتف (زاباتا) مختنقًا :

— كيف تطالبنى بإخبارك إذن ؟

أجابه فى صرامة :

— ربما لو جعلتك ترى الموت أكثر رحمة .

ثم هوى على فكّه بكعب مسدّسه ، وأطار سنتين أخريين له ، فصرخ (زاباتا) وهو يبصق أسنانه المكسورة مع الدماء :

— هذا غير آدمىّ .

قال (أدهم) فى برُود :

— حقًا !!.. كم مرّة فعلت ذلك ، فى الأسبوعين الأخيرين ؟

لم ينبس (زاباتا) ببنت شفة ، وإن استرجع عقله مشهد ذلك الرجل ، الذى أمر رجاله بانتزاع أظفاره ، منذ ثلاثة أيام ؛ ليجبره على بيع قطعة أرض جديدة له ، أراد إضافتها

لمزرعته الشاسعة ، ومشهد تلك المرأة ، التى قطعوا إصبعها ، لتهديد زوجها ، و.....

قاطعه (أدهم) ، قائلًا فى صرامة :

— أستخبرنى أم أواصل ؟

دارت عينا (زاباتا) فى محجَرَيهما ، من شدّة الرُّعب ، وتطلّع فى هلع إلى الطريق الصحراوى ، الذى انطلقت فيه سيارة (أدهم) ، وقال فى صوت مرتجف :

— ربما لاتدرك صعوبة الأمر بالفعل يا رجل .. المشكلة الحقيقية ليست فى معرفة وكر (بانشو) ، ولكن فى التوصُّل إليه ، ودخوله .. إنه يضع حراسة قوية فى كل ركن فيه ، ولايسمح بدخول أى مخلوق ، سوى رجاله فقط ، وإذا ما جرؤ شخص على الاقتراب منه ، فإنه يقتـ .....

قاطعته ضغطة قوية من قدم (أدهم) ، على كمّاحة السيارة ، جعلته يندفع إلى الأمام ، ويكاد يرتطم بالزجاج ، فهتف :

— احترس يا رجل .

أوقف (أدهم) السيارة على جانب الطريق الصحراوىّ ، وغادرها فى حركة حادّة ، ودار حولها لينتزع (زاباتا) من مقعده ، ويقول له فى صرامة :

— اسمع يا رجل .. إننى .....

قبل أن ينطق بحرف إضافى واحد ، دَوَّى طلق نارىّ ، تردَّد صداه فى الصحراء كلها ، وجحظت عينا (زاباتا) ، وتجمَّدت أطرافه ، وتشبَّث بكتفى (أدهم) فى قوة ، ثم سقط بين ذراعيه جثة هامدة ..

ومن خلفه ظهر رجل شرطة ، يصوِّب إلى (أدهم) بندقيته ، ويرتدى منظارًا شمسيًا ، وهو يقول فى ظفر :

— انتهت المطاردة يا رجل .. لقد أعلن (بانشو) عن مكافأة لاصطيادك ، وأظننى سأربحها .

ثم ضغط زناد بندقيته ..

* * *

شعر (إفرايم) بآلام مبرِّحة فى فكه ، وسمع صوتًا جزعًا يهتف به :

— استيقظ يا رجل .. استعد وعيك .. هيَّا ..

بذل (إفرايم) جهدًا رهيبًا ، ليميِّز فى العبارة صوت زميله (جوليات) ، وفتح عينيه فى صعوبة ، وهو يغمغم :

— ماذا حدث يا (جوليات) ؟

أجابه (جوليات) فى هلع ملحوظ :

— لقد التقينا بذلك الشيطان المصرى ، كما كنت تتمنَّى يا رجل .. ولقد حطَّمنا تحطيمًا ، مع المواجهة الأولى .

ردَّد (إفرايم) بذهن مشتَّت :

— حطَّمنا ؟!

أجابه (جوليات) ، وهو يعاونه على النهوض :

— نعم .. لقد أفقدنا وعينا ، واستولى على مسدَّسينا ، وسيارتنا صدِّقنى يا رجل .. إننا لانستطيع مواجهته .

قاوم (إفرايم) ذلك الصداع الرهيب ، الذى يملأ رأسه ، وغمغم :

— ماذا تعنى بأننا لانستطيع مواجهته ؟.. إنه مجرَّد .....

قاطعه (جوليات) :

— لاتكابر .. إنه شيطان بحق .. لقد عجزت دولتنا كلها عن القضاء عليه ، ولن يكون حظنا بأفضل منها ، ثم إنه سيهزم (بانشو) أيضًا ، وسنخسر نحن كل شىء .

أيقظت العبارة الأخيرة عقل (إفرايم) ، فاعتدل قائلاً فى جزع :

— نخسر كل شىء ؟!

ثم أمسك كفَّ (جوليات) ، واستطرد فى صرامة :

— اسمع يا رجل .. من الضرورى ألا نفقد المال .. هل تفهم ؟.. فليذهب (أدهم صبرى) هذا إلى الجحيم .. بل فلتذهب دولتنا كلها .. المهم هو أن نفوز نحن باللُّعبة .

تمتم (جوليات) فى توتُّر :

— وماذا تقترح يا رجل ؟.. لقد قلت إنه من الحتْم أن تتم الصفقة ، حتى يمكننا أن نفوز بالمال ؟

عقد (إبراهيم) حاجبيه ، مفكرًا فى عمق ، ثم قال :

— لا .. ليس من المحتّم أن نفعل .

ارتفع حاجبا (جوليات) فى دهشة ، وهو يغمغم :

ولكنك قلت إنهم سيطاردوننا حتى آخر العالم ، و .....

قاطعه فى حزم :

— هذا لو لم نجد وسيلة عبقرية للتخفى .

سأله (جوليات) فى لهفة :

— وهل هناك وسيلة كهذه ؟

ابتسم (إبراهيم) فى دهاء ، وهو يقول :

— بالطبع يا رجل .

ثم أشار إلى رأسه ، مستطردًا فى ثقة :

— ستجد هاهنا حلًا لكل شىء .. لكل شىء .....

* * *

قبل أن تعتصر سبّابة رجل الشرطة الزّناد ، بجزء من الثانية ، ألقى (أدهم) جسد (زاباتا) بعيدًا ، ورفع مسدّسه ، وأطلق النار ..

وتجمّد جسد رجل الشرطة لحظة ، وتهشّم زجاج منظاره الأسود ، عند عينه اليُسرى تمامًا ..

ثم سقط جثة هامدة ..

لقد خسر المعركة ..

خسرها ؛ لأنه لم يُحسن تقدير قوة خصْمه ، فلقد تلكأ فى إطلاق النار ..

وخسر ..

وفى سرعة ، انحنى (أدهم) يفحص (زاباتا) ، ولكن رجل العصابات المكسيكى كان قد لفظ آخر أنفاسه ..

ونهض (أدهم) ، والغضب يجرى فى عروقه مجرى الدم ..

لقد فشل مرّة أخرى فى معرفة وكر (بانشو) ..

لقد قتل فى هذه المرّة أكثر ممّا قتل فى حياته كلها ..

وهو يكره القتل ..

صحيح أن مهنته تحتّم عليه إراقة الدماء ، دون أن تهتز فى جسده شعرة واحدة ..

ولكنه يكره القتل ..

ـ إنه لا يلجأ إليه إلا مضطرًا ..

تمامًا كما يفعل الآن ..

وغرق في لُجّة من أفكاره ، محاولًا البحث عن وسيلة مثالية لمعرفة وكر (بانشو) ، والتوصُّل إليه ، ولكن .....

فجأة ، انقطعت أفكاره بدوِيّ رصاصة ، وبصوت ارتطامها بالأرض ، بين قدميه تمامًا ..

واستدار (أدهم) في سرعة البرق ، وتطلّع في حزم إلى تلك النقطة ، التي انطلقت منها الرصاصة ، ورأى نفسه يواجه الموت مرّة أخرى ..

وكان الموت هذه المرة هو (آنزيو) ..

(آنزيو) ومن تبقى من عصابته ..

كان على (أدهم) أن يواجه ثلاثة عشر رجلًا ..

وثلاثة عشر رسولًا للموت ..

* * *



٨ ـ كل الأدلّة ..

هبطت الطائرة القادمة من الولايات المتحدة الأمريكية ، في مطار (مكسيكو) ، وغادرها ركابها ، وراحوا يُنهون إجراءاتهم الجمركية ، وبعدها غادر أحدهم المطار ، ووقف أمامه يتلفت حوله في توتُّر ، فاقتربت منه سيارة أنيقة ، وأطلّ من نافذتها وجه رجل ضخم ، غليظ الملامح ، ابتسم ابتسامة زادت ملامحه قُبْحًا ، وهو يقول للرجل :

ـ أأنت سنيور (موريس) ؟

التفت إليه الرجل النحيل في توتُّر ، وعدّل من وضع منظاره الطبّيّ فوق عينيه ، على نحو يُوحي بعصبيّة ، وهو يقول :

ـ نعم .. إنه أنا .

عاد الغليظ يسأله في برود :

ـ أين تعمل ؟

تلفّت الرجل حوله في خوف وقلق ، ثم همس وكأنما يخشى أن يسمعه أحد :

— في هيئة الطاقة الذرّية الأمريكية .

اتسعت ابتسامة الغليظ ، وازدادت ملامحه مع اتساعها قبحًا ، وهو يقول :

— لقد أرسلني سنيور (بانشو) لاصطحابك .

تنفس (موريس) الصُّعَداء ، وأسرع يَدْلِف إلى السيارة ، وهو يغمغم في عصبيّة :

— لماذا لم يأتِ بنفسه ، مثل كل مرّة ؟

ابتسم الغليظ ، وقال ، وهو ينطلق بالسيارة :

— هناك ما يعطله .

ثم لاذ بالصمت التام ، وهو ينطلق إلى خارج المدينة ، ولاذ (موريس) بدوْره بالصمت ، حتى بلغت السيارة أول الطريق الصحراوي ، فغمغم في توتُّر :

— هل سنذهب إليه بالسيارة ؟

أجابه الغليظ :

— اطمئن يا سنيور (موريس) .. ستكون رحلتك سريعة للغاية .

قالها على نحو ساخر ، أثار قلق (موريس) وخوفه ، فقال في حِدَّة عصبيّة :

— لماذا لم يأتِ (بانشو) كالمعتاد ؟

أجابه الغليظ في برود :

— قلت لك إنه هناك ما يعطله يا سنيور (موريس) .

ثم عاد يبتسم ابتسامته المقيتة ، مستطردًا :

— أتحب أن تتحدّث إليه ؟

هتف (موريس) في لهفة :

— بالطبع .

انحرف الغليظ بالسيارة إلى جانب الطريق ، وأوقفها وهو يلتقط مسماع اللاسلكي في بساطة ، ويضغط زرّ الاتصال ، قائلًا :

— سنيور (بانشو) .. سنيور (موريس) يَوَدُّ التحدُّث إليك .

ارتفع صوت (بانشو) ، وهو يقول :

— لا بأس .. صِلني به .

اختطف (موريس) مسماع اللاسلكي ، وهتف في لهفة ، وقد بثّ صوت (بانشو) في نفسه الطمأنينة :

— مرحبًا يا سنيور (بانشو) .. أنا (موريس) .

أتاه صوت (بانشو) هادئًا ، وهو يقول :

— كيف حالك يا عزيزى (موريس) ؟ ، وكيف حال هيئة الطاقة الذرّية فى موطنك ؟

أجابه (موريس) :

— فى خير حال يا سنيور (بانشو) .. إنهم يجرون اليوم بضع تجارب حول .....

قاطعه (بانشو) :

— اسمع يا عزيزى (موريس) .. هناك مشكلة ..

ازدرد (موريس) لُعابه فى توتُّر ، وهو يقول :

— أيّة مشكلة يا سنيور (بانشو) ؟

أجابه (بانشو) فى هدوء :

— لقد وافق (الموساد) على دفع مليار دولار ، مقابل تلك التصميمات ، عن القنابل الذرّية المحدودة التأثير .

تهلّلت أسارير (موريس) ، وهو يهتف :

— رائع يا سنيور (بانشو) .. رائع .

تابع (بانشو) وكأنه لم يسمعه :

— والواقع أننى أفكر فى الاعتزال ، بعد إتمام هذه الصفقة ، فلست أظن العمر كله يكفى لإنفاق مثل هذا المبلغ .

ازدرد (موريس) لُعابه مرّة أخرى ، وقال :

— ما المشكلة إذن يا سنيور (بانشو) ؟

قال (بانشو) فى هدوء :

— المشكلة هى أنه لكى يتقاعد المرء ، فمن الضرورى ألا يترك خلفه ما يمكن أن ينغص حياته .

عقد (موريس) حاجبيه ، وحاول أن يزدرد لُعابه الجاف ، وهو يتمتم فى توتُّر :

— ماذا تعنى يا سنيور (بانشو) ؟

أتاه صوت (بانشو) باردًا كالثلج ، وهو يقول :

— إننى أعترف بأنك قد عاونتنى طويلًا يا عزيزى (موريس) ، وأننى قد ربحت الملايين من تلك التصميمات ، التى كنت تختلسها ، بين حين وآخر ، من هيئة الطاقة الذرّية ، ولكن مع تقاعدى ، تصبح أنت نقطة ضعف فى ستار أمنى .

شحُب وجه (موريس) ، وهو يقول :

— ماذا تعنى يا سنيور (بانشو) ؟.. لقد كنت أختلس تلك التصميمات ، طيلة هذه السنوات ، وهذا يعنى أننى المتهم الأوّل ، وأن أمنك يعنى أمنى ، و .....

قاطعه صوت (بانشو) الصارم :

— معذرة يا عزيزى (موريس) .. لقد درست الأمر ، ووجدت أنه من المحتّم أن تتقاعد أنت أيضًا .

هتف (موريس) فى ارتياع :

ــ كما تأمر ياسنيور (بانشو) .. سأستقيل ، أو أطلب فصل ، أو ....

قاطعه (بانشو) بصوته البارد كالثلج :

ــ وداعًا ياعزيزى (موريس) .

اتسعت عينا (موريس) فى هلع ، وصرخ :

ــ لا ياسنيور (بانشو) .. لا .. لا ..

ثم استدار فى رُعب إلى ذلك الغليظ ، الذى كان يبتسم ابتسامته المقيتة ، التى تجعله أشبه بالشياطين ، والذى كان يصوِّب فُوَّهة مسدسه إلى رأسه ، فصرخ (موريس) فى رعب هائل :

ــ لا .. لا ..

ونقلت موجات اللاسلكى إلى (بانشو) صوت رصاصة ، وصوت جمجمة بشرية تتهشم ، فقال عبْر جهاز اللاسلكى فى هدوء :

ــ اغسل آثار الدم يارجل .

وأنهى الاتصال بكل هدوء ، دون أن تهتز فى جسده شعرة واحدة ..

* * *

عندما استدار (أدهم) يواجه (أنزيو) ورجاله ، كانت ثلاث عشرة دراجة بخارية تنطلق نحوه ، وفوقها ثلاثة عشر رجلا ، يصوِّبون إليه مدافعهم الآلية ..

وانطلق (أدهم) نحو السيارة ، وقفز داخلها ، والرصاصات تنطلق نحوه ..

ثم انطلق بها ..

لم ينطلق مبتعدًا عن (أنزيو) ورجاله ، بل منقضًا عليهم ..

واخترقت رصاصاتهم زجاج السيارة ، ومرقت إحداها إلى جوار أذنه ، ولكنه أطلق رصاصات مسدسه بدوره ..

وسقط ثلاثة من رجال (أنزيو) ..

وارتطمت سيارة (أدهم) بالرابع ..

وانطلقت مبتعدة ..

واستدار الرجال إليه ، وقائدهم يصرخ :

ــ الحقوا به .. قاتلوه .. طاردوه .

وانحرف (أدهم) فى طريق جانبى ، وراح ينطلق بأقصى سرعة بين الصخور والرمال ..

وفى أثناء انطلاقه ، كان يقوم بمعجزة ..

كان يربط أجزاء مدفعه الآلىّ بعضها ببعض ..



لم ينبس (أدهم) ببنت شفة ..
كان يصوّب مدفعه إلى (أنزيو) ، ويتطلّع إلى عينيه فى برود ..

وفجأة ، استدار يواجه الدراجات البخارية مرّة أخرى ..
وفى هذه المرّة ، كان يملك مدفعًا آليًا .

وانطلق (أدهم) نحو الدراجات البخارية ، وهو يقود السيارة بيُمناه ، ويطلق رصاصات المدفع الآلى بيُسراه فى سخاء مخيف ..

وحصدت رصاصاته خمسة من رجال (أنزيو) ، وأصابت ثلاثة بجراح خطيرة ، قبل أن يوقف سيارته ، ويهبط منها فى هدوء ، ليواجه الزعيم ..

وأوقف (أنزيو) درّاجته ، وراح يتطلّع إلى عينى الرجل الذى هزم جيشه كله ، قبل أن يتمتم فى ذهول :

— بهذه البساطة ؟!

لم ينبس (أدهم) ببنت شفة ..

كان يصوّب مدفعه إلى (أنزيو) ، ويتطلّع إلى عينيه فى برود ..

وعاد (أنزيو) يهتف ذاهلًا :

— أهكذا ، وبكل بساطة ، تقضى على رجالى كلهم ؟.. هل تعلم ما الذى فعلته ؟.. لقد حطّمت أخطر جيش خاصّ فى المكسيك كلها .

ثم صرخ فى ثورة :

ـــ أيها الحقير .
وانطلق بدراجته نحو (أدهم) ..
وبقى (أدهم) ثابتًا ..
انتظر حتى صارت الدراجة على قيد متر واحد منه ، ثم قفز جانبًا ، وأطلق قبضته في وجه (أنزيو) كالقنبلة ..
وخُيِّل لـ(أنزيو) أن صاعقة من صواعق الجحيم قد انقضت على وجهه ، فحطمت أسنانه ، وهشمت أنفه ، وشجت فكه ، ثم انتزعته يد مارد من دراجته ، ورفعته عاليًا ، وضربت الأرض في قوة وقسوة وعنف ..
ودارت الأرض بالرجل ، وهتف :
ـــ اللعنة !!
ثم سقط فاقد الوعي ..
وفي هدوء ، اتجه (أدهم) إلى دراجته ، والتقط سماع جهازها اللاسلكي ، وضبط موجة الجهاز على موجة السفارة المصرية ، ثم ضغط زرّ الاتصال ، قائلًا :
ـــ هنا النسر الشرقي .. أريد التحدث إلى السفير على الفور .. حول .
أتاه صوت ضابط الاتصال بالسفارة المصرية ، وهو يقول :
ـــ عرّف نفسك أيها النسر الشرقي .. نريد مزيدًا من التعريف .

قال في صرامة :
ـــ صلني بالسفير .. إنه أمر عاجل ، وسرّى .
مضت لحظات من الصمت ، قبل أن يأتي صوت السفير ، هاتفًا :
ـــ (أدهم) !.. أين أنت يا رجل ؟
أجابه (أدهم) :
ـــ في الصحراء المكسيكية يا سيدى .
هتف السفير :
ـــ إنني أشعر بقلق شديد عليك .. لقد اتصلت بمكتب مدير المخابرات العامة في (القاهرة) ، وطلب مني أن ......
قاطعه (أدهم) في ضيق :
ـــ لا عليك يا سيدى .. إنني أعرف ما أخبرك به ، و ......
انتفض جسد السفير ، عندما بتر (أدهم) عبارته بغتة ، مع دوي رصاصة ، نقلتها إلى أذنه موجات اللاسلكي ، فهتف السفير في جزع :
ـــ (أدهم) .. ماذا حدث عندك يا ولدى ؟.. ماذا حدث ؟
ولكنه لم يتلق جوابًا ..
لم يتلق شيئًا قط ..

* * *

٩ — احتيال ..

ارتسمت ابتسامة ظفر على شفتى (إفرايم) ، وهو يمسك سماعة الهاتف فى خفة ، ويقول :

— نعم ياسيّدى .. سنتصل مساء اليوم .. أريد أن يكون كل شىء جاهزًا .. نعم .. على الفور .

وأعاد سمّاعة الهاتف ، ليلتفت إلى زميله (جوليات) ، هاتفًا فى سعادة :

— لقد أعددت كل شىء يا رجل .. ألم أقل لك ؟. عقل هذا يحمل حلًا لكل مشكلة فى الوجود .

عقد (جوليات) حاجبيه ، وكأنما لايقتنع بما يقوله زميله ، وهو يغمغم فى توتّر :

— ماذا فعلت بالضبط ؟

أشار (إفرايم) إلى رأسه ، قائلًا فى فخر :

— لقد استغللت كل اتصالاتنا السابقة يا رجل .. تمامًا كما علمونا .. أراهنك أنه لم يخطر ببالهم قطُّ أن نستغل ما لقّنونا إيّاه ، لنسرقهم .

ثم توقف ، وأخذ يقول فى انفعال :

— لقد اتصلت بجرّاح تجميل عالمىّ فى (سويسرا) ، واتفقت معه على أن يُجرى لنا عمليتى تجميل ، مساء اليوم ، فى (لوزان) ، تتغير بعدهما ملامحنا تمامًا ، مقابل مليون دولار ، واتصلت بخبير تزوير فرنسى ، وطلبت منه أن يلتقى بنا فى (لوزان) ، يمنحنا هويّتين جديدتين ، بأيّة جنسية نرغب فيها ، وجوازى سفر زائفين ، يحملان صورتين لنا ، بعد أن نجرى عمليتى التجميل ، أما بالنسبة للسفر ، فلقد حجزت تذكرتين فى طائرة (سويسرا) ، بعد خمس ساعات فحسب ، وخلال هذه الفترة سنذهب إلى سفارتنا ، ونحصل على صندوق النقود ، مع جوازى سفر ديلوماسيين ، يمنعان رجال الجمارك من تفتيش الصندوق ، ومعرفة محتوياته .

تمتم (جوليات) فى قلق :

— وماذا عن انتقام مخابراتنا ؟

أطلق (إفرايم) ضحكة عابثة ، وقال :

— لكى ينتقموا منّا ، لابدّ أن يعثروا علينا أوّلًا ، وسيكون من المستحيل أن يفعلوا ، وهم يجهلون اسمينا الجديدين ووجهينا .

غمغم (جوليات) :

ـــ سيعلمون وجهتنا على الأقل ، وسيساعدهم هذا على التوصُّل إلينا .

عقد (إفرايم) حاجبيه مفكرًا ، ثم قال في حزم :

ـــ سأبدل خطَّ السير إذن ، فنذهب إلى (فرنسا) أولًا ، حيث نحصل على جوازين مزوَّرين ، ننطلق بهما إلى (سويسرا) ..

وأضاف وهو يربِّت على كتفه في حرارة :

ـــ اطمئنَّ يا رجل .. لكل مشكلة حلّ .. لكل مشكلة حلّ ..

* * *

عندما اقتحم (بانشو) حجرة (منى) هذه المرة ، كانت عيناه تتألقان ظفرًا ، حتى أنها شعرت بالقلق ، وهي تغمغم في توتر :

ـــ حسنًا .. ماذا هناك ؟

جلس فوق مقعد صغير ، في مواجهة فراشها ، وقال مبتسمًا :

ـــ لقد اتصل بي سفيركم .

عقدت حاجبيها ، مغمغمة في حَيْرة :

ـــ سفيرنا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ إنه يطلب التفاوض معي .

ازداد انعقاد حاجبيها ، وهي تقول :

ـــ أي تفاوض ؟

بدت ابتسامته خبيثة كالثعالب ، وهو يجيب :

ـــ يقول إنه يريد التفاوض معي ، بشأن الصفقة .

هتفت دون وعي :

ـــ وماذا عن (أدهم) ؟

اتسعت ابتسامته ، وهو يتجاهل سؤالها ، قائلًا :

ـــ والسفير يطلب السماح له بالمجيء إلى هنا ، للتفاوض .

لم تكد تسمع عبارته ، حتى قفزت إلى رأسها فكرة ، جعلت عينيها تتألقان ببريق قوي ، لاحظه (بانشو) على الفور ، فقال في خبث :

ـــ أنا أيضًا أدركت ذلك .

عقدت حاجبيها ، في محاولة لإخفاء بريق عينيها ، وهي تقول :

— أدركت ماذا ؟

أجابها بابتسامة ماكرة :

— أدركت موطن الاحتيال .

ونهض من مقعده ، قبل أن تنبس بحرف واحد ، مستطردًا :

— لقد نسى مستر (أدهم) أننى أملك ملفًا كاملًا عنه .

ثم رفع سبّابته أمام وجهه ، مردفًا فى سخرية :

— وأننى رجل ذكى .

عقدت ساعديها أمام صدرها ، وهى تقول فى جدّة :

— وماذا ستفعل أيها الرجل الذكى ؟.. هل سترفض التفاوض معه ؟

رفع حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، وهو يقول :

— أرفضها ؟!

ثم لوّح بذراعه كلها ، هاتفًا :

— مستحيل يا آنستى .. سأقبلها بالطبع .. سأقبلها دون قيد أو شرط .

ومال نحوها ، مستطردًا فى جذل :

— بل سأرسل (ألفريدو) بالهليوكوبتر الخاصّة ، لإحضاره إلى هنا .

وضرب سبّابته بإبهامه ، مستطردًا :

— ثم ......

وأطلق ضحكة عالية شرسة ، جعلت (منى) تهتف :

— هل ستقتل السفير ؟

استدار إليها هاتفًا :

— السفير ؟!.. لا تجعلينى أبكى يا عزيزتى .. أنت تعلمين جيّدًا من سأقتل .

ومال نحوها مرّة أخرى ، مستطردًا فى همس ساخر :

— إنه ليس السفير .

ثم أطلق ضحكة عالية ..

ضحكة شيطانية ..

* * *

جلس (إفرايم) و (جوليات) هادئين ، أمام سفيرهما ، الذى راح يدير عينيه بين وجهيهما لحظات ، ثم قال بابتسامة هادئة :

— إذن فأنتما تريدان الصندوق ..

أجابه (جوليات) ، وهو يتحاشى النظر إلى عينيه :

— إننا نحتاج إليه بالضرورة لـ ......

قاطعه (إفرايم) فى حزم :

ـــ معذرة يا سيادة السفير .. لن يمكننا إخبارك بالسبب .

مطَّ السفير شفتيه ، وأومأ برأسه متفهمًا ، وهو يغمغم :

ـــ بالطبع .. إننى أقدِّر ذلك .

ابتسم (إفرايم) ، وهو يقول :

ـــ هذا عظيم .

ثم عاد يستطرد فى حزم :

ـــ والآن هلَّا أعطيتنا الصندوق ؟

أجابه السفير :

ـــ بالطبع .

ثم نهض إلى خزانته الخاصة ، وأدار أرقامها السِّرِّيَّة ، ثم فتح بابها ، والتقط الصندوق من داخلها ، ومدَّ يده به إلى (إفرايم) ، الذى همَّ باختطافه فى لهفة ، لولا أن استعاده السفير بحركة حادَّة ، جعلت (إفرايم) يهتف فى عصبيَّة :

ـــ ماذا هناك ؟

ابتسم السفير فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ ستوقعان إيصالًا بتسلُّمه أوَّلًا .. أليس كذلك ؟

هتف (جوليات) :

ـــ بالطبع .

والتقط الورقة والقلم ، اللذين قدمهما له السفير ، ووقَّع الإيصال فى سرعة ، ثم ناوله إلى (إفرايم) ، الذى وقَّعه ، دون أن يقرأ حتى محتوياته ، فى حين اختطف (جوليات) الصندوق ، وضمه إلى صدره فى لهفة ، وهو يهتف فى انفعال :

ـــ شكرًا يا سيِّدى .. شكرًا .

ونهض الاثنان فى سرعة ، وانصرفا دون أن يصافحا سفيرهما ، الذى تابعهما ببصره ، وهو يبتسم فى هدوء ، ثم ألقى نظرة على الإيصال ، وابتسم ابتسامة واسعة ، مغمغمًا :

ـــ رحلة موفقة أيها السيِّدان .. مع تحياتى .

وعاد يتطلَّع إلى الإيصال ، وابتسامته تتَّسع ..

وتتَّسع ..

وتتَّسع ..

* * *

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثالثة وعشر دقائق عصرًا ، عندما بلغت هليوكوبتر (بانشو) الخاصة ذلك التلَّ ، ذا القمة المسطَّحة ، وراحت تحوم حوله فى هدوء ، حتى انشقت قمته إلى نصفين ، فهبطت الهليوكوبتر داخله ، واستقرَّت فوق



ثم هبط منها (ألفريدو) ، بقميصه القضفاض ، ومنظاره الداكن ، وشعره الذهبى الناعم ..

مهبطها الخاص ، وتوقفت مراوحها عن الدَّوَران فى بطء ، ثم هبط منها (ألفريدو) ، بقميصه القضفاض ، ومنظاره الداكن ، وشعره الذهبى الناعم ، واتجه إلى حيث يقف (بانشو) ، الذى سأله فى حزم ، وهو يتطلع إلى الهليوكوبتر ، حيث جلس السفير :

ـ هل تأكدت من أن أحدًا لا يتبعك ؟

أجابه (ألفريدو) ساخرًا :

ـ ألم تتأكد راداراتكم من ذلك يا سنيور (بانشو) ؟

أجابه (بانشو) فى صرامة :

ـ بالطبع ، ولكن هذا لا ينفى حقى فى أن ألقى عليك أى سؤال يروق لى .

أومأ (ألفريدو) برأسه ، وقال :

ـ نعم .. هذا حقك ..

ثم أشار إلى حيث يجلس السفير ، مستطردًا :

ـ إننى واثق من أن شيئًا لم يتعقبنا ، ومن أن هذا الرجل لا يحمل أية أجهزة لاسلكى ، فلقد فحصته بذلك الجهاز الخاص ، ثم إننى أخفيت عينيه بتلك العصابة السوداء ، منذ غادرنا معًا سطح سفارته ، فى هذه الهليوكوبتر ، وأقسم لك

إن أحدًا لم يقترب من الهليوكوبتر ، مما ينفى تمامًا أى احتمال لدسّ أى جهاز لاسلكى فيها .. هل اطمأننت الآن يا سنيور (بانشو) ؟

غمغم (بانشو) فى صرامة :

ـــ بعض الشىء .

ثم عاد يلقى نظرة على السفير ، الذى جلس ساكنًا ، وأضاف :

ـــ أحضر هذا الرجل .

غمغم الطيّار :

ـــ سمعًا وطاعة .

وعاد إلى الهليوكوبتر ، وقاد السفير المعصوب العينين منها إلى (بانشو) ، الذى تفحصه ببصره فى اهتمام ، قبل أن يسأله :

ـــ أأنت السفير المصرى ؟

تنحنح السفير المصرى ، وأجابه فى هدوء :

ـــ إنه أنا يا سنيور (بانشو) ، وأظن مظهرى سيختلف تمامًا ، من دون تلك العصابة السوداء ، فهذه أول مفاوضات أجريها معصوب العينين .

ابتسم (بانشو) ، قائلًا :

ـــ لن يستمر هذا طويلًا .

ثم أشار إلى (ألفريدو) ، مستطردًا :

ـــ ارفع العصابة يا رجل .

رفع (ألفريدو) العصابة عن عينى السفير ، الذى تطلّع إلى (بانشو) فى اهتمام ، ثم أدار عينيه حوله فى انبهار ، هاتفًا :

ـــ أنت تمتلك مركزًا رائعًا يا سنيور (بانشو) .

ابتسم (بانشو) فى زهوٍ ، وقال :

ـــ إنما هو مكان متواضع يا سنيور .

ثم أشار حوله ، مستطردًا :

ـــ هذا مهبط الهليوكوبتر ، وستجد حوله أجهزة الرادار والمراقبة ، وعددًا من أجهزة الكمبيوتر ، الخاصة بتتبع أى دخيل .

واتسعت ابتسامته ، وهو يضيف :

ـــ اتبعنى أرجوك .

تبعه السفير و (ألفريدو) فى هدوء ، حتى بلغ تلك الحجرة ، الخاصة بأجهزة الكمبيوتر ، وقال :

ـــ هذه هى حجرتى المفضلة ، فهى تحوى أخطر أجهزة الكمبيوتر ، وأكثرها حداثة ، وأحدها هو الذى كشفت به أمر رجلكم ، بعد أقل من ساعة ، من وصوله إلى (مكسيكو) .

ابتسم السفير في هدوء ، وهو يقول :

ـ هذا عظيم .

ثم استدرك في اهتمام :

ولكن ألا ينبغي أن نناقش صفقتنا أولًا ؟

تألقت عينا (بانشو) ببريق مخيف ، وهو يقول :

ـ ليس الآن ياسيدي .. ليس قبل أن تنضم مواطنتك إلينا .

عقد السفير حاجبيه ، وهو يغمغم :

ـ مواطنتي ؟!

أجابه (بانشو) :

ـ بالطبع .. هل نسيتها ؟

ثم أشار إلى باب الحجرة ، فالتفت السفير و (ألفريدو) بدورهما إلى حيث أشار ، وبدت لهما (منى) مُختنقة ، تتطلع إليهما في توتر ، فابتسم (بانشو) ، وهو يقول لها :

ـ مرحبًا ياعزيزتي .. معذرة لأنني قد انتزعتك من فراشك ، ولكنني رأيت أنك ستسعدين بمقابلة هذا الرجل .

وأدار عينيه إلى السفير ، مستطردًا :

ـ الذي يخدعني .

وعلى الفور ، ارتفعت فوهات خمسة مدافع آلية نحو السفير ، الذي تراجع في حدة ، هاتفًا :

ـ ماهذا ياسنيور (بانشو) ؟ ما الذي تقصده بالخداع ؟.. إننا حتى لم نبدأ التفاوض بعد .

تألقت عينا (بانشو) ، واتسعت ابتسامته في دهاء ، وهو يقول :

إنني أقصد خداع الشخصية أيها السفير .. أم هل أقول يا (أدهم صبري) ؟

وخفق قلب (منى) بين ضلوعها في قوة .. وأدركت أنه على حق ..

* * *



١٠ — المفاجأة ..

احتضن (جوليات) صندوق النقود فى لهفة ، وهو يهتف بصوت خافت :

— لست أصدق !.. لقد أصبحنا نملك مليار دولار دفعة واحدة ، ولقد عبَرنا بها الجمارك ، ولم يجرؤ أحد على لمسها ، لمجرّد أنها تحمل اسم (الحقيبة الدبلوماسية) .

تألّقت عينا (إفرايم) فى شراهة ، وهو يقول :

— ألمْ أقل لك يا رجل .. عقل هذا يحمل قدرًا هائلًا من العبقرية ؟ سنتخذ مقعدينا فى الطائرة بعد دقائق ، وعندئذ نكون قد نجحنا .

هتف (جوليات) فى لهفة :

— هل ألقى نظرة عليها ؟

أجابه (إفرايم) فى صرامة :

— ليس الآن يا رجل .. انتظر حتى نركب الطائرة ، واملأ عينيك بها كما تشاء .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع النداء ، يطالب ركاب

طائرة (باريس) بالتوجّه إليها على الفور ، فهبّ (جوليات) من مقعده ، هاتفًا فى لهفة :

— هيّا .. لمْ أعد أحتمل .

انطلقا معًا إلى الطائرة ، ولم يكد (جوليات) يتخذ مقعده فيها ، حتى هتف فى لهفة :

— هل ألقى نظرة عليها الآن ؟

ابتسم (إفرايم) ، قائلًا :

— يا لك من طفل كبير !!

ثم أضاف مبتسمًا :

— لا بأس ، فلنلق عليها نظرة سريعة معًا .

أسرع (جوليات) يحل قفل الصندوق فى لهفة وسرعة ، ثم رفع غطاءه ، و .....

وتجمّدت الدماء فى عروقهما ..

وجحظت عيونهما فى ذهول ..

لقد كان الصندوق لا يحوى قطعة نقد واحدة ..

كان مكدّسًا بالأوراق البيضاء ..

فقط أوراق بيضاء ..

وهتف (جوليات) فى ذهول ومرارة :

— يا للشيطان !!.. ماهذا ؟

أجابه (إفرايم) فى انهيار :

— أوراق بيضاء يا رجل .. فقط أوراق بيضاء .

هتف (جوليات) ، وقد هزّته المفاجأة حتى النخاع :

— كيف ؟!.. لقد كان الصندوق مكتظًّا بأوراق النقد الخضراء ، عندما جئنا به من (تل أبيب) ، فماذا أصابه ؟

انحدرت دموع القهر والمرارة من عينى (إفرايم) ، وهو يقول :

— السفير يا رجل .. لقد فعلها السفير .

حدّق (جوليات) فى وجهه ، وهو يغمغم فى ذهول :

— السفير ؟!

أجابه (إفرايم) ، وهو يخفى وجهه بكفّيه فى ألم :

— نعم يا رجل .. فعلها السفير .. لقد أعدّ خطّته فى براعة منقطعة النظير .. لقد استولى على النقود ، ووضع الأوراق بدلًا منها ، ثم جعلنا نوقّع على إيصال بتسلّم الصندوق ، بكل مايحويه ، وأراهنك أنه قد أبلغ (الموساد) الآن بأنه يشك فى أمانتنا .. لقد أعدّها بكل براعة .

شحُب وجه (جوليات) ، وهو يقول فى هلع :

— أتعنى أنه هو سيحصل على النقود ، فى حين ستتهم نحن بسرقتها ؟

أومأ (إفرايم) برأسه إيجابًا فى انهيار ، فاستطرد (جوليات) فى رُعب :

— وسيطلقون كل قتلتهم خلفنا ، فى كل أنحاء المعمورة .

غمغم (إفرايم) :

— وسيعثرون علينا حتمًا .

ازداد شحوب وجه (جوليات) ، وهتف :

— اللعنة !.. اللعنة !

ثم اعتدل مستطردًا :

— ولكننا سنذهب إلى (سويسرا) ، وسنبدل ملامحنا ، و .....

قاطعه زميله فى مرارة :

— هذا يحتاج إلى مليون دولار .. هل تذكر ؟.. من أين لنا بها ؟.. من أين ؟

اتسعت عينا (جوليات) فى رُعب ، وغمغم :

— أيعنى هذا أننا قد انتهينا ؟

أومأ (إفرايم) برأسه فى انهيار ، وهو يقول :

— نعم .. لقد انتهينا .. لقد خسرنا المليار دولار ..
وانحدرت دمعة ضخمة من عينيه ، وهو يستطرد :
— وحياتنا ..
وأقلعت بهما الطائرة ..

* * *

اتسعت عينا السفير فى دهشة وخوف ، وهو يحدّق فى وجه (بانشو) ، هاتفًا :
— (أدهم صبرى) ؟!.. ما الذى دعاك إلى هذا القول ؟.. إننى لست (أدهم صبرى) .. لقد لقىَ (أدهم صبرى) مصرعه .
اتسعت عينا (منى) ، وهى تهتف فى ذعر :
— لقى مصرعه ؟!
أما (بانشو) ، فقال فى صرامة :
— لا تحاول خداعى أيها الشيطان المصرى أنا أعلم أنك (أدهم صبرى) .. لقد راجعت ملفك جيّدًا ، وعرفت منه أنك تجيد التنكّر ، كما لا يجيده مخلوق آخر فى الكوْن ، وعندما اتصلت بى هاتفيًا ، أدركت على الفور أنك لست السفير ، فلقد كانت لخدعة سخيفة ، لتصل إلى وكرى ، وتربح الرهان ، ولكنك لا تعُدّ رابحًا الآن ، فأنا جعلتك تصل إلى وكرى ؛ لأقتلك .

هتف السفير :
— ولكننى لست (أدهم صبرى) ، حقًا .. لقد لقىَ هذا الأخير مصرعه فى الجبال ، فقد لكم (أنزيو) ، وظنّه فاقد الوعى ، وتحدّث إلىّ بواسطة اللاسلكى ، وبينما كان يفعل ، استعاد (أنزيو) وعيه ، وأطلق عليه النار ، فأرداه قتيلًا .
شهقت (منى) فى قوة ، وهتفت :
— لا .. مستحيل !
أما (بانشو) ، فعقد حاجبيه ، مغمغمًا :
— قصتك تبدو معقولة ، ولكن .....
بدت الصرامة فى ملامحه ، وهو يستطرد :
— ولكن كيف عرفت ما حدث ؟
ارتبك السفير ، وغمغم :
لقد عرفت .. أعنى .....
قاطعه (بانشو) فى ظفر :
— أرأيت ؟.. لقد تحيّرت يا رجل .. أنت (أدهم صبرى) .. أنت .
ثم انتزع مسدّسه ، وهتف فى نشوَة :
— وسأحظى أنا بشرف قتلك ، يا من عجزت أقوى منظمات العالم عن التخلّص منك .. أنا سأفعلها ..

وانطلقت رصاصة ..

رصاصة أصابت هدفها تمامًا ..

* * *

لو أننا رتبنا الذُّهول ، الذى أصاب من كانوا فى المكان ، فسنقول بكل ثقة ، إن صاحب النصيب الأكبر منه لم يكن سوى (بانشو) ..

نعم ..

(بانشو) ..

لقد كان يصوِّب مسدسه إلى صدر السفير ، عندما انطلقت الرصاصة ..

لم تنطلق من مسدسه هو ..

بل من مسدس (ألفريدو) ، لتطيح بمسدسه ، هو ..

وفى سرعة مذهلة ، كان (ألفريدو) ينقضّ عليه ، ويحيط عنقه بذراعيه ، ويقول فى سخرية صارمة :

ــ أخطأت أيها الوغد .. ليس السفير هو (أدهم صبرى)

ثم انتزع قناعًا رقيقًا عن وجهه ، وهو يستطرد :

ــ أنا (أدهم صبرى) .

اتسعت عينا (بانشو) وجحظتا فى ذُهول ، وتأوَّه ألمًا ، عندما لوى (أدهم) إحدى ذراعيه خلف ظهره ، وألصق فُوَّهة مسدسه برأسه ، وهو ينطق عبارته الأخيرة ، فى حين هتفت (منى) فى سعادة :

ــ (أدهم) .. حمدًا لله .. كنت أعلم أنك ستربح .. كنت أعلم ذلك .

ابتسم وهو يقول فى هدوء :

ــ شكرًا لثقتك يا عزيزتى .. هيا .. خذى أحد أسلحة هؤلاء الأوغاد ، الذين يحدقون فى وجهى بذُهول ، وصوِّبيه إليهم .

وشدَّد من ضغطه على ذراع (بانشو) ، مستطردًا فى صرامة :

ــ وسيأمرهم زعيمهم الوغد هذا بالاستسلام .

هتف (بانشو) فى ألم :

ــ ألقوا أسلحتكم يا رجال .. أطيعوا الأمر .

تردَّد الرجال لحظة ، ثم ألقَوْا أسلحتهم فى غيظ ، فأسرعت (منى) تلتقط مدفعًا آليًا ، وهى تهتف :

ــ ما قصَّة (أنزيو) هذا إذن ؟

أجابها السفير ، وهو يلتقط مدفعًا ثانيًا ، ويبتسم قائلًا :
ــ نصفها حقيقى ، فعندما كان (أدهم) يتحدَّث إلىَّ ، استعاد (أنزيو) وعيه ، ولكن (أدهم) انتبه إليه ، وأطلق عليه رصاصته ، فأرداه قتيلًا ، وبعدها اتفق معى على هذه الخطة .
ابتسم (أدهم) ، وقال وكأنه يوجِّه حديثه إلى (بانشو) وحده :
ــ كنت أعلم أنك قد راجعت ملفى كله أيها الوغد ، وأنك ستشك فى أن هذا السفير هو أنا متنكِّرًا ، وأن غرورك سيدفعك إلى إرسال طيَّارك الخاص لإحضاره ، مع اتخاذ كل الاحتياطات اللازمة ، فانتظرت ستيوز (ألفريدو) الوغد فى السفارة ، وعندما وصل ، حطَّمت فكَّه بلكمة واحدة ، وصنعت قناعًا لوجهه ، وأظنك تعرف البقية .
هتف (بانشو) فى غضب ، وهو يعضّ شفتيه غيظًا :
ــ ولكنك لم تربح بعد .. إنك لن تغادر هذا الوكر حيًّا .
ضغط (أدهم) ذراعه فى قسوة ، وهو يقول :
ــ المهم أن تعطينى التصميمات أوَّلًا أيها الوغد ، وبعدها سنناقش هذا .
قال (بانشو) فى جدَّة :
ــ إنها هناك .

أجابه (أدهم) فى صرامة :
ــ أين أيها الوغد ؟
أشار (بانشو) إلى جهاز قريب ، وقال :
ــ هناك .. فى هذا الجهاز .. اضغط ذلك الزِّرّ الأحمر ، وستجدها أمامك .
دفعه (أدهم) نحو الجهاز ، قائلًا فى صرامة :
ــ اضغطه أنت أيها الوغد ..
مدَّ (بانشو) يده الحرة ، وضغط الزِّر الأحمر ، فأضاء مصباح صغير أعلى الجهاز ، وتألَّقت معه عينا (بانشو) ، وهو يهتف :
ــ خسرت يا رجل .
عقد (أدهم) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :
ــ ما الذى تعنيه أيها الوغد ؟
هتف (بانشو) فى لهجة أقرب إلى الجُنون :
ــ بالضغط على هذا الزِّر ، اشتعل جهاز تفجير قوى ، يضم أكثر من مائتى قنبلة ، موزَّعة فى كل أنحاء المكان ، وبعد تشغيله بخمس دقائق فقط ، سينفجر المكان كله .. وداعًا يا (أدهم صبرى) .. وداعًا للجميع .
وراح يطلق ضحكات شيطانية جُنونية .
* * *

١١ ـ النهاية ..

لم يكد (بانشو) ينطق عبارته ، حتى تجمّدت الدماء فى عروق الجميع ، فيما عدا (أدهم) ، الذى هتف :

ـ أيها الوغد .

ثم دفعه أمامه فى عنف ، وانحنى يلتقط مدفعًا آليًا ، وهو يهتف فى وجوه رجاله :

ـ ابتعدوا .. فليبتعد من يرغب فى النجاة منكم .

انطلق الرجال يُهَرْولون فى رُعب ، فالتفت (أدهم) إلى (منى) والسفير ، هاتفًا :

ـ إلى الهليوكوبتر ، بسرعة .

صاح (بانشو) فى جُنون ، و (أدهم) يدفعه أمامه فى قسوة :

ـ لن تفلح .. لن تغادر هذا المكان حيًا .

انطلق الثلاثة ، و (أدهم) يدفع (بانشو) أمامه ، نحو الهليوكوبتر ، الرابضة فى مهبطها الخاصّ ، وسط هرج رهيب ساد المكان ، وصرخ (بانشو) :

ـ اقتلوهم يا رجال .. اقتلوهم .

وعلى الفور ، راح (أدهم) و (منى) والسفير يطلقون النيران على كل من يعترض طريقهم من رجال (بانشو) ، وهذا الأخير يواصل صرخاته الجنونية ، حتى بلغوا الهليوكوبتر ، فأشارت (منى) إلى السقف ، هاتفة فى جزع :

ـ السقف يا (أدهم) .. إنه مغلق .

صاح بها فى صرامة :

ـ إلى الهليوكوبتر أيتها النقيب .. هذا أمر .

هتفت فى توتر :

ـ والسقف ؟!

صاح :

ـ إلى الهليوكوبتر .

انطلقت إلى الهليوكوبتر ، وقفزت داخلها ، وقفز السفير إلى جوارها ، وهو يقول فى توتّر :

ـ هل تجيدين القيادة ؟

أجابته فى توتّر مماثل :

ـ إلى حدٍّ ما .

ثم أدارت عينيها إلى (أدهم) ، الذى يواصل إطلاق النار فى بسالة ، وهى تستطرد فى حزم :

— ولكننا لن نقلع دُونه .

كان (أدهم) يدفع (بانشو) أمامه بيُسراه ، ويطلق النيران فى غزارة بيُمناه ، وهو يشق طريقه إلى أجهزة التحكُّم ، و (بانشو) يواصل صراخه :

— لن تفلح .. لن تغادر المكان حيًّا .

ولكن (أدهم) بلغ أجهزة التحكُّم ، وضغط كل الأزرار ، حتى انفتح السقف فى بطء ، فاستدار ليعود إلى الهليوكوبتر ، ولكن .....

أصابته بغتة رصاصة فى كتفه اليُسرى ، وأطلق (بانشو) ضحكة جُنُونية ، وهو يصرخ :

— لن تفلح .. ستموت هنا .. سنموت جميعًا هنا .

رفع (أدهم) عينيه إلى الهليوكوبتر ، ورأى رجال (بانشو) يهمُّون ببلوغها ، وهم يصنعون بأجسادهم حاجزًا بينه وبينها ، والوقت يمضى فى سرعة ، فصرخ :

— انطلقي يا (منى) ..انطلقى .

صرخت فى مرارة :

— لا .. لن نقلع دُونك .

أطلق رصاصاته نحو الهليوكوبتر ، صارخًا :

— انطلقى .. هذا أمر .

وهنا جذب السفير عصا القيادة ، هاتفًا :

— لقد قال انطلقى .

وارتفعت الهليوكوبتر فى سرعة ، و (منى) تصرخ :

— لا يا (أدهم) .. لا ..

ولكن (أدهم) لم يسمعها ..

كان قد تحوَّل إلى آلة لإطلاق النيران فحسب ..

آلة كل ما يهمّها هو أن تنجو (منى) ..

(منى) التى أحبَّها ، مثلما لم يحب فى حياته كلها ..

(منى) التى ملكت قلبه ..

ولقد تحوَّلت رصاصاته إلى نيران تلتهم أعداءه ، قبل أن يرفعوا فُوَّهات مدافعهم إلى الهليوكوبتر ..

ولقد أدرك رجال (بانشو) أنه لا طائل من وراء القتال ..

أدركوا أن القضاء على (أدهم) مستحيل ؛ لأنه يحتمى بجسد زعيمهم ، ولأن المكان كله سينفجر بعد قليل ..

وانطلقوا جميعًا يَسْعَوْن للفرار ..

وتوقَّف القتال ..

وأدار (أدهم) (بانشو) إليه ، وصرخ فى وجهه فى صرامة :

ـ اسمع أيها الوغد .. الألمانيون أمثالك لا يخططون للانتحار على هذا النحو .. هناك حتمًا مخرج من كل هذا .. أين هو ؟

أطلق (بانشو) ضحكة شيطانية مجنونة ، وهو يصرخ :

ـ لم تعُد مشكلة مخرج أيها الشيطان .. لقد أصبحت مشكلة وقت .. لن ينجو أحد منا .. لقد ربحت أنت المعركة ، ولكننا سنقضى معًا .

وفى لحظة واحدة ، دار شريط سريع ، فى رأس (أدهم) ..

كل معاركه ..

كل خصُومه ..

كل أصدقائه ..

(قدرى) ، وشقيقه (أحمد) ..

(حازم) ، و (سمير) ..

(المافيا) ، و (الموساد) ..

(سكوربيون) ..

وحتى (سونيا جراهام) ..

وأخيرًا ، انزاحت كل الصور ، لتحتل عقله صورة واحدة ..

صورة (منى) ..

وفى خفة ، رفع عينيه ، يتطلَّع إلى الهليوكوبتر التى تحملها ، وهى تبتعد ..

تبتعد ..

تبتعد ..

وفى الهليوكوبتر ، كانت هى تصرخ :

ـ لا .. لن أتركه .. فلنعد إليه .. إنه هناك وحده .

ولكن السفير كان يتشبث بعصا القيادة ، صائحًا :

ـ هل جُننتِ .. ألم تسمعى (بانشو) ؟.. المكان كله سينفجر بعد لحظات .

صرخت فى لوعة :

ـ وماذا عن (أدهم) ؟.. ماذا عنه ؟

لم تكد تتمُّ عبارتها ، حتى انفجر وكر الإرهاب ..

انفجارًا هائلًا رهيبًا ..

انفجارًا أعلن انتصار (أدهم) ..

فقط انتصاره ..

حتى ولو كان قد قضى نحبه ، فقد انتصر ..

وتجمَّدت نظرة (منى) لحظة ، ثم تجمَّعت كل مشاعرها فى قلبها ، فانتفض ..

انتفض كما لم ينتفض من قبل ..

وتحوّلت انتفاضته إلى دمعة كبيرة، تكوّنت فى عينيها المتحجرتين، قبل أن تنفجر كل انفعالاتها فى حلقها، فى صرخة واحدة :

— (أدهم) ..

وانفجرت مع صرختها دموعها، وراحت تهتف فى انهيار ..

— مستحيل !.. إنه لم يَمُتْ .. سينجو .. لقد نجا مما هو أشد هولاً من قبل .

ثم التفتت إلى السفير، وتشبّثت به، هاتفة :

— إنه سينجو .. أليس كذلك ؟.. سينجو .

تجمّعت فى عينى الرجل دمعة أسى، وتطلّع إلى وكر (بانشو)، الذى حوّله الانفجار إلى أثر بعد عين، وغمغم فى مرارة :

— ينجو ؟!

صاحت وهى تنهار فى مقعدها :

— نعم سينجو .. لن يموت (رجل المستحيل) هكذا .. لن يموت ..

وأمام المشهد، الذى لا يحتمل مجرّد الشك، غمغم السفير، ودموعه تروى ما يجول فى أعماقه، والهليوكوبتر تواصل طريقها نحو شاطئ النجاة :

— مَنْ يدرى يا بنتى ؟.. مَنْ يدرى ؟..

نعم ..

مَنْ يدرى ؟!..

* * *

[تمت بحمد الله]